بطريركية الاقباط الأرثوذكس

القديس كيرلس الاسكندرى

مؤلفاته وتعليمة اللاهوتية

- مؤلفاتة ورسائلة وعظاته
- تعاليم القديس فى
  - الثالوث القدوس
  - التجسد
  - القديسة العذراء والدة الإله
  - الخلاص
  - الإنسان
  - أمتيازات العهد الجديد
  - سر الأفخارستيا

دكتور
موريس تاوضروس
أستاذ العهد الجديد بالكلية الاكليريكية

بطريركية الاقباط الارثوذكس

القديس كيرلس الاسكندرى

مؤلفاته وتعليمه اللاهوتية

* مؤلفاتة ورسائلة وعظاته

* تعاليم القديس فى

- الثالوث القدوس
- ا لتجسد
- القديسة العذراء والدة الإله
- الخلاص
- الإنسان
- أمتيازات العهد الجديد
- سر الأفخارستيا

دكتور
موريس تاوضروس
أستاذ العهد الجديد بالكلية الاكليريكية

قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

القديس كيرلس الأسكندرى
مؤلفاته وتعليمه اللاهوتي

تمهـيد :

عندما تنيح البابا ثيؤفيلس بطريرك الأسكندرية فى ١٥ أكتوبر سنة ٤١٢ كانـت رغبـة رجال الحكم أن يتبعه فى رئاسه الكنيسة الأرشيدياكون تيموثى. ولكن بعد يومين ، أختير إبن أخت البطريرك الراحل ثيؤفيلس – وصاربطريركاً لكرسى الأسكندرية . وارتبط إسم القديس كيرلس الخريستولوجى بالصراع الثانى حول الخريستولوجى والذى انتهى بعقـد مجمع أفسس عام ٤٣١ وإدانة نسطور .وإذ قد ولد فى السكندرية ، فقد تلقـى تدريبـة الكلاسيكى واللاهوتى فى هذا المركز الكبير للتعليم وقد تعهد البابا ثيؤفيلس كيرلس إبن أخته وأرسلة إلى برية شيهيت حيث تتلمذ عى يد الأنبا سيرابيون. وعاد إلى الأسـكندرية حيث رسمه البابا ثيؤفيلس قسيساً . وإستمر يخدم الكنيسة عدة سنوات وأنتخب بطريركاً بعد إنتقال خاله البابا ثيؤفيلس . وحين رسمه الأساقفة رفعوا الأناجيل الأربعة فوق رأسـه وصلوا قائلين " شدد يارب هذا الرجل الذى اخترته لرئاستنا " .

للوقوف على تاريخ مفصل لحياة القديس كيرلس عمود الدين ، يمكن الاستعانة بالمراجع التالية :

١- الشماس منسى القمص (المتنيح القس منسى يوحنا) كتاب تاريخ الكنيسة القبطيـة – الطبعة الثالثة ١٩٨٢ ص ٢٥٩ -٢٧٤.

٢- إيريس حبيب المصرى : قصة الكنيسة القبطية (تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية المصرية التى أسسها مارمرقس البشير) ص ٣٨٧ – ٤٣١).

٣- القمص تادرس يعقوب ملطى : الكنيسة القبطية الأرثوذكسية كنيسة علم ولاهوت (كنيسة مارجرجس باسبورتنج ١٩٨٦) ص ٩٦- ١١٧ .

٤- جورج باقى : القديس كيرلس عامود الدين (مطرانية القباط الأرثوذكس بأسوان) ١٩٨٣ .

5- Quasten(j),. Patrology(Voll.111 The Golden Age of Greek Patristic Literature, Spectrum, 1963.

6-Kelly (j.n.d),Early Christian Doctrines ,(A and C Black – london- fourth Edition , 1963)

الباب الأول

مؤلفاته ورسائله وعظاته

فى هذا المجال .Quasten نعتمد هنا بالأكثر على ما كتبه

القديس كيرلس هو واحد من أعظم رجالات الادب المسيحى المبكر. وتستغرق مؤلفاته عشرة مجلدات من طبعة مينى (Mg 68-77) على الرغم من أن الكثير من مؤلفاته قد فقد . وكان لا يزال حياً عندما ظهرت بعض الترجمات الأولى لكتاباته — كترجمات Marius Mercator إلى اللاتينية ، وترجمات Rabbulos of Edessa إلى السريانية . وقد تبع ذلك ترجمات إلى الأرمنية والأثيوبية والعربية . وتساعد هذة الترجمات فى بعض الأحيان على التعرف على النص الكامل لما يكون قد فقد فى النص الأصلى اليونانى .

وأسلوب القديس كيرلس مسهب ، وفى بعض الأحيان محكم ومنمق. على أن محتوى الكتابة يكشف عن عمق فى التفكير ، وغنى الأفكار ، وضبط ووضوح فى الجدال يبرهن على موهبته التأملية واللغوية ، ويجعل من كتاباته مصادر من الدرجة الأولى لتاريخ العقيدة وللتعليم المسيحى. على أن الصراع النسطورى قسم نشاطه الأدبى الى فترتين :

١- الفترة الأولى وتمتد حتى عام ٤٢٨م ، وقد كرسها القديس كيرلس للتفسير الكتابى والمجادلة ضد البدعة الأريوسية .

٢- الفترة الثانية وتنتهى بنياحته وقد انشغل فيها تقريباً بشكل كامل فى دحض البدعة النسطورية

أولا : مؤلفاته التفسيرية

تمثل الجزء الاكبر من كتاباته وانتاجه الادبى . وتفسيره للعهد القديم يتاثر لدرجة كبيرة بالتقليد الإسكندرى ، فهو تفسير رمزى ، وإن كان يختلف عن أوريجينوس بسبب إصراره وتأكيده بأنه ليس كل أجزاء العهد القديم تخضع للتفسير الرمزى . وتفسيره للعهد الجديد هو أكثر حرفية ولكنه مع ذلك يكشف عن عدم ميل للأخذ بالتفسير التاريخى الفيلولوجى ولتوضيح هذة المقارنة بالنسبة لوضع القديس كيرلس من مدرسة الأسكندرية — فى التفسير ، ومقارنته بإتجاهات التفسير الأخرى ، لأبد هنا من الاشارة الى الاختلاف فى التفسير بين مدرسة الأسكندرية ومدرسة أنطاكية .

فى مدرسة الأسكندرية ، تحدث أوريجينوس عن خطورة التفسير الحرفى ، وأشار إلى فئات ثلاث تخطئ فى تفسيرها للكتاب المقدس لأنها تتمسك بتفسير النصوص تفسيراً حرفياً —

وهم اليهود والغنوسيون والبسطاء من المسيحيين ، كما أشار إلى معان ثلاث لنصوص الكتاب المقدس : المعنى الحرفى والمعنى الأخلاقى والمعنى الروحى أو الرمزى أو السرى . والمعنى الأخير هو الذى يأخذ به الكاملون من الدارسين ، بينما أن المعنى الحرفى يأخذ به غير المثقفين [1] .

أما المدرسة الأنطاكية ، فقد كان طابعها الذى يميزها هو التركيز على شرح النص الانجيلى فى معناه البسيط كما توجهه اللغة . ولهذا سمى بالمنهج الحرفى لأنه يأخذ بالمعنى البسيط حسب المفهوم اللغوى العادى دون الدخول فى تأملات رمزية عقلية مختفية وراء السطور . ويسمى أيضاً بالمنهج التاريخى لأنه يأخذ الحقائق التاريخية الواردة فى الكتاب المقدس خاصة ماجاء فى العهد القديم ، كحقائق واقعية بعكس المنهج الرمزى الذى يتجاهل قيمتها التاريخية ، بل وأحياناً لدى المبالغين فى المنهج ينكر وقوع بعضها متطلعاً إليها كمجرد رموز معنوية لأغراض روحية [2]

وعن هذا الاختلاف بين مدرسة الأسكندرية ومدرسة أنطاكية فى التفسير ، كتب أستاذنا نيافة الانبا أغريغوريوس فقال :

يمكن أن نقول بصفة عامة أن إتجاه مدرسة الأسكندرية اللاهوتية كان يتعارض مع إتجاه المدرسة الأنطاكية معارضة أساسية . فبينما كان الإتجاه الفكرى فى الأسكندرية مطبوعاً بالنظرة الصوفية المسيحية ، كانت مدرسة أنطاكية تتسم بالإتجاه العقلى المنطقى . ويبدو أن مدرسة الإسكندرية كانت متأثرةبأفلاطون ومنهجه فى التفكير ، بينما إقتفت مدرسة أنطاكية أثر أرسطو ، وكان مذهبها فى المنطق هو المنطق الأرسطاطاليسى ، ولم يكن ثمة شئ عندهم إلا وقد خضع للمنطق القياسى ،كما أخضعوا علم اللاهوت لعمليات التفكير الفيزيقى والرياضى . وظهر هذا الخلاف واضحاً فى تفسير الكتاب المقدس وفى تعليمهم عن طبيعة المسيح . أما فى الكتاب المقدس فكانت الأسكندرية تنادى بأن لكل نص من نصوصه معنيين آخرين إلى جانب معناه الحرفى أحدهما روحى والآخر رمزى . لكن أنطاكية قصرت عنايتها على المعنى الحرفى اللغوى. وأما فيما يتصل بطبيعة المسيح ، فقد كان تفكير لاهوتيى الإسكندرية متجهاً إلى لاهوت المسيح أولا مع توكيد قضية الإتحاد بين اللاهوت والناسوت إتحاداً تاماً ، وتصوروه بطريقة صوفية ووصفوه بأنه إتحاد " حقيقى " و " جوهرى " و" أقنومى " و "طبيعى ". ولما لم يستطيعوا أن يخضعوه لمنطق قياسى أو تصور بشرى قالوا إنه " إتحاد سرى " لا يمكن إدراكةبالفهم او العقل . وعلى عكس ذلك

١-القمص تادرس يعقوب : آباء مدرسة الأسكندرية الأولون - الكلية الإكليريكية بالأسكندرية ١٩٨٠ ص ١٥٧.
٢- القمص تادرس يعقوب : أقوال الآباء وكتاباتهم - القديس يوحنا ذهبى الفم - الكلية الاكليريكية بالأسكندرية ١٩٧٥ ص ١٨٠-١٨٧ .

كان تفكير لا هوتيى أنطاكية متركزاً أولاً فى ناسوت المسيح ، ولذلك مالوا إلى القول بالفصل بين طبيعتين فى السيد المسيح . ولكن أنكروا القول بالإتحاد لكنهم كانوا يلحون دائماً على الإزدواج والإثنينية [1] .

ويشير سمير نوف فى كتابه " تاريخ الكنيسة المسيحية " إلى ما يسميه بمدرسة الإسكندرية الجديدة — ويكتب عن مدرسة الإسكندرية ومدرسة أنطاكية ما يلى :

لقد نالت مدرسة الإسكندرية اللاهوتية الشهرة فى القرن الثالث ، وقد أوصلها معلمها أوريجينوس الشهير الى الازدهار ، وهو بتفسيره اللاهوتى العميق النظرى وتفسير الكتاب المقدس السرى — الرمزى ، مكن فيها الطريقة التاملية . ومع هذا فالاتجاه الذى بثه أوريجينوس فى مدرسة الأسكندرية بدأ يتزعزع منذ بدء القرن الرابع . فأوريجينوس بنظرياته الاهوتية وكذلك فى تفسيره الكتاب المقدس ، بلغ أحياناً التطرف ، حتى أنه خالف التقليد الكنسى . هذا التطرف الأوريجينى النظرى فى بدء العصر الرابع رفضه ممثلوا المدرسة الأسكندرية ، غير رافضين مبدئياً الطريقة التأملية . ففى بحثهم عقائد الإيمان والنظريات الفلسفية صاروا يوجهون إنتباههم إلى التقليد الكنسى مقابلين ومصلحين به ما أنجزوه من الأراء بمساعدة العقل بشأن العقائد .ونتيجة لهذا الإتجاه المتغيرنوعاً ما، الذى قبلته مدرسة الأسكندرية ، سميت الإسكندرية الجديدة . والرغبة فى جعل الاراء فى عقائد الإيمان مطابقة للتقليد الكنسى كانت الصفة المميزة لها[2] .

ويذكر من ممثلى مدرسة الأسكندرية الجديدة : القديس الكسندروس أسقف الإسكندرية (توفى سنة ٣٢٦) والقديس أثناسيوس الكبير(توفى سنة ٣٧٣) والقديس باسليوس الكبير (توفى سنة ٣٧٩) والقديس غريغوريوس الاهوتى (توفى سنة ٣٩١) والقديس غريغوريوس النيسى (توفى سنة ٣٩٥) والقديس كيرلس الكبير (توفى سنة ٤٤٤) الذى تمسك فى تفاسيره بطريقة مدرسة الإسكندرية أى التفسير الرمزى[1] .

أما بشأن تفسير الكتاب المقدس فى المدرسة الأنطاكية ، فيذكر أنه يقوم بشكل رئيسى بدرس المعنى الحرفى القريب بمساعدة تحليل اللغة. وأما الرموز فى تفسير الكتب المقدسة إجمالا فقلما كان لها أهمية فى مدرسة أنطاكية[2] .

١ـ الأنبا غريغوريوس : ما بين الاسكندرية وروما وبيزنطة (اسقفية البحث العلمى بالقاهرة ١٩٧٤ ص ٩-١١ .

٢ـ سمير نوف : تاريخ الكنيسة المسيحية تعريب المطران الكسندروس حجى – ١٩١١ ص ٢٩٨ – ٢٩٩ .

1 ـ نفس المرجع ص ٢٩٩ ـ ٣٠٤

2ـ نفس المرجع ص ٣٠٥

تفاسير العهد القديم:

(أ) ١٧ كتاباً عن " السجود والعبادة بالروح والحق "

De adoratione et cultu in Spiritu et Veritate

وقد قدمت فى شكل حوار بين القديس كيرلس وبلاديوس Palladius وهو المفسر الرمزى (allegorco – typological) لمقاطع معينة مختارة من أسفار موسى الخمسة . وهى لا تتبع ترتيب نص العهد القديم ولكنها جمعت دون الإشارة إلى تسلسلها ، وقصد بها إلى البرهنة على أن الناموس قد أبطل فقط فى الحرف ولكن ليس فى الروح . أن التنظيمات الخاصة بالتدبير الإلهى فى العهد القديم يجب أن تفهم كنماذج رمزية للعبادة بالروح . وهو إذ يتخذ كنقطة بداية خطيه آدم وحواء — فإن :

الكتاب(١) : يتعامل مع خلاص الانسان من عبودية الخطية والشيطان .

والكتابان (٢ ، ٣) " التبرير بالمسيح كوسيلة للحصول على هذا الخلاص .

والكتابان (٤، ٥) : عزم وتصميم الإرادة البشرية للمثابرة والحفاظ عليه .

والكتاب (٦) : أساس الخلاص هو محبة الله .

والكتابان (٧،٨) : وأيضا محبة القريب .

والكتب (٩-١٣) : الحديث عن الكنيسة والكهنوت .

والكتب (١٤ — ١٦) : عبادة المسيحيين الروحية التى أشير إليها كظلال فى تنظيمات العهد القديم .

والكتاب الأخير (١٧) : خصص للحديث عن أعياد اليهود وخاصة عيد الفصح .

وتستغرق هذة الكتابات مجلداً كاملاً فى طبعة " مينى " وقد كتبت قبل سنة ٤٢٩ ولكن بعد سنة ٤١٢ م .

(ب) جلافيرا

أى المصقول اللامع . وهى عبارة عن ١٣ كتاباً تتضمن تفاسيررائعة ، وتنسب إلى نفس الزمن ، وهى مكملة للكتابات السابقة " السجود والعبادة لله بالروح والحق " .

وتعرض هذه الكتب لمقاطع مختارة من أسفار موسى الخمسة ، وتتبع تسلسل كتب العهد القديم ولا تقدم فى شكل حوار . وتخصص منها سبعة كتب لسفر التكوين وثلاثة لسفر الخروج ، ثم كتاب واحد لكل سفر من الأسفار التالية : اللاويين — العدد — التثنية .

(ج) تفسير سفر أشعياء

ويتكون من خمسة كتب . ويعرض المفسر المعنى الحرفى أولا ثم بعد ذلك المعنى الروحـــى .

وتقدم الكتب الخمسة تفسيراً متواصلاً على أشعياء ١ – ١٠ ، ١٠ – ٢٤ ، ٢٥ ، ٤١ ، ٤٢ – ٥١ ، ٥٢ – ٦٦

وتستغرق هذه الكتب المجلد ٧٠ فى مجموعة " مينى " . ومن المرجح أنها كتبت بعد المؤلفين السابقين على أسفار موسى ، ولكن قبل سنة ٤٢٩ .

تفاسير العهد الجديد

(أ) تفسير على الإنجيل للقديس يوحنا

ويتميز يالأكثر بطابعه الجدلى العقيدى . وتشير المقدمة إلى أن اهتماما خاصاً سوف يعطى للمفهوم العقيدى ولرفض الهرطقات . ويهتم المؤلف إلى أن يثبت من الأنجيـــل الرابـــع أن الإبن من نفس الجوهر الإلهى الذى للآب ، وأن لكل منهما أقنومه الخاص . وهويهـــاجم بعنف تعاليم أريوس وأونوميوس والتعاليم الخريستولوجيةالخاصة بمدرســـة انطاكيـــة . ولا يظهر فى هذا الانجيل إسم نسطور ولا يذكرفيه أيضاً لقب " والدة الإله " . فهذا دليل على أن هذا التفسير قد كتب قبل الصراع مع النسطورية .

ويتضمن تفسيرالإنجيل للقديس يوحنا ١٢ كتاباً مقسمة الى فصول .

(ب) تفسيره على الإنجيل للقديس لوقا

هو نموذج آخر من التفسير ، وهو فى حقيقته مجموعة من المواعظ على الإنجيل للقديس لوقا ويغلب فيه الطابع العملى أكثر من الطابع الدجماطيقى على عكس الإنجيل للقديس يوحنا ، كما أشرنا سابقاً . و لم يبق من النص اليونانى سوى ٣ عظات كاملة وبعض شـــذرات . وهناك نسخة سريانية ترجع إلى القرن السادس أو السابع وتتضمن ليس أقل من ١٥٦ عظة . وربما يرجع تاريخ هذا التفسير إلى نهاية سنة ٤٣٠، حيث أنه توجد إشارة واحدة علـــى الأقل إلى حروم كيرلس ، فى العظة ٦٣ .

(ج) تفسير على الإنجيل للقديس متى .

لم يبق منه إلا القليل من الشذرات ، ويتكون من ٢٨ فصلاً ، وقد نهـــج فيـــه القـــديس كيرلس النهج التفسيرى بالمعنى الدقيق للكلمة ، على نحو ما فعل بالنسبة لتفـــسيره علـــى الإنجيل للقديس يوحنا. ويبدو أن تاريخ هذا الإنجيل يرجع الى ما بعد سنة ٤٢٨ .\

(د) تفاسير مفقودة .

يحوى المجلد ٧٤ من مجموعة " مينى" شذرات من تفاسير مفقودة للقديس كيرلس ، على الرسالة الى رومية والرسالتين الأولى والثانية الى كورنثوس والرسالة الى العبرانيين .

نموذج من تفسير القديس كيرلس الرمزى

فى تفسيره لدخول السيد المسيح إلى أورشليم على جحش إبن أتان (لو ١٩)قال القديس كيرلس :

لقد خلق إله الكل الإنسان على الأرض بعقل قادر على الحكمة ، له قوى الفهم ، لكن الشيطان خدعه . ومع أنه مخلوق على صورة الله أضله ، فلم تعد له معرفة بالخالق صانع الكل . إنحدر الشيطان بسكان الأرض إلى أدنى درجات عدم التعقل والجهل . وإذ عرف الطوباوى داود ذلك أقول بكى بمرارة قائلاً "والانسان فى كرامة لم يفهم ، يشبه البهائم بلا فهم " مز ٤٩ : ١٢ " . من المحتمل أن الأتان الأكبر سناً ترمز لمجمع اليهود إذ صار بهيمياً ، لم يعط للناموس إهتماماً إلا القليل ، مستخفاً بالأنبياء والقديسين ، وقد أضاف إلى ذلك عصيانه للمسيح الذى دعاه للإيمان ولتفتيح عينيه قائلا : " أنا هو نور العالم من يؤمن بى فلا يمشى فى الظلمة بل يكون له نور الحياة " (يو ٢٨ : ١٢) . الظلمة التى يتحدث عنها هنا بلا شك تخص الذهن وتعنى الجهل والعمى وداء عدم التعقل الشديد . أما الجحش الذى لم يكن بعد قد استخدم للركوب فيمثل الشعب الجديد الذى دعى من بين الوثنيين . فهذا أيضاً قد حرم بالطبيعة من العقل ، كان هائماً فى الخطأ ، لكن المسيح صار حكمته " المذخر فيه جميع كنوز الحكمة (وأسرار) العلم " كو ٢ : ٣ " . **لذلك أحضرالجحش بواسطة تلميذين أرسلهما المسيح لهذا الغرض . ماذا يعنى هذا ؟ إنه يعنى أن المسيح دعا الوثنيين بإشراق نور الحق عليهم ، يخدمه فى ذلك نظامان : الأنبياء والرسل** . فقد ربح الوثنيين للإيمان بكرازة الرسل الذين يستخدمون كلمات مقتبسة من الناموس والأنبياء . يقول أحدهم من الذين دعوا بالإيمان لمعرفة مجئ المسيح : وعندنا الكلمة النبوية وهى أثبت ، التى تفعلون حسناً أن إنتبهتم إليها كما إلى سراج منير فى موضع مظلم إلى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح فى قلوبكم " ٢ بط ١ : ١٩ . فإذا تفجر النهار بإشراق النور الحق لم تعد الكلمة النبوية سراجاً صغيراً ، بل صار يضاهى أشعة كوكب الصبح .

لقد احضر الجحش من قرية مشيراً بذلك إلى حال فكر الوثنيين غير المتمدن . إذ لم يكن كمن تعلم فى مدينة – وإنما كمن عاش بطريقة ريفية خشنة وفظة ... هؤلاء لا

يستمرون على هذا الحال بخصوص الذهن غير المتمدن ، وإنما يتغيرون إلى حالة من السلام والحكمة بخضوعهم للمسيح معلم هذه الأمور . إذن ، لقد أهملت الأتـــان إذ لم يركبـــها

المسيح مع أنها سبق فاستخدمت للركوب ومارست الخضوع لراكبيها ، مستخدماً الجحش الذيكان بلا مران سابق و لم يستخدمه أحد .. وكما سبق فقلت لقـــد رفـــض المجمـــع اليهودي الذى سبق وأعطاه الناموس ، وقبل الجحش، الشعب الذى أخذ من الأمم " .

ويعلق الآب القمص تادرس يعقوب فيقول : هذا التفسير الرمزى للقديس كيرلس الكـــبير أخذه عن العلامة أوريجينوس القائل " رمز للمجمع اليهودى القديم بالأتان ، إذ كان مقيداً بخطاياه ، وكان أيضاً معها الجحش مقيداً ، كرمز للشعب الحديث الولادة من الأمم . وإذ إقترب المخلص وصار الطريق لأورشليم السماوية مفتوحاً أمر بحلها خلال تعاليم تلاميـــذه الذين أعطاهم الروح القدس قائلاً " أقبلوا الروح القدس ، من غفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتم خطاياه أمسكت " يو ٢٠ : ٢٢، ٢٣ كما يقول كان إحتياجه هكـــذا أنـــه إذ يجلس عليهما يحررهما من الأتعاب ، مصلحاً من أمر من يجلس عليهما لا بمعنى أنـــه هـــو الذى يستريح بواسطتهما[1].

ثانيا : الكتابات العقيدية الدفاعية ضد الأريوسيين

إن مؤلفات القديس كيرلس العقيدية الدفاعية المبكرة جداً ، وقد وجهت ضد الأريوسيين وله كتابان فى هذا المجال هما :

١- الكنز فى وحدة الثالوث القدوس الجوهرية

Thesaurus de Sancta et consubstantiali Trinitate

وهو يتضمن إعتراضات الأريوسيين ورفضها ونتائج صراعات القرن الرابع . ويتبع القديس كيرلس هنا أستاذه أثناسيوس . وعلى وجه التقريب ، فإن ثلث مادة هذا العمل يعـــود الى كتابة القديس أثناسيوس ضد الأريوسية (Contra Arianos 111) . ويـــبدو أيـــضاً أن القديس كيرلس قد إستعمل بالإضافة إلى ذلك مؤلف ديديموس الضرير ضد الأونوميين (Contra Eunomium) ويذهب بعض الباحثين إلى القول بان هذا المؤلف هو أوضـــح مؤلفات القديس كيرلس ، وعلى الأخص بالنسبة لهؤلاء الذين يمكنهم أن يستخلصوا مناهجه المنطقية . وعلى الرغم من أنه ليس هناك شك فى أن هذا المؤلف كتب قبل الصراع النسطورى ، فإن الباحثين يختلفون فى تحديد زمن كتاباته ، ومنهم من يحـــدد

---

[1] ـ القمص تادرس يعقوب : الانجيل بحسب متى – كنيسة مارجرجس باسبورتنج

هذا الزم بين سنة ٤٢٣ – ٤٢٥ ، ومنهم من يرجع زمن كتاباته إلى قبل هذا التاريخ أى إلى بداية عهد البطريركية التى تمت فى سنة ٤١٢م .

٢- الثالوث القدوس المتحد جوهرياً

De Sancta et Consubstantiali Trinitate

وقد كتب هذا الكتاب بعد الكتاب السابق بفترة قصيرة ، ووجه لنفس الأخ نيموسيوس Nemesius . ويتضمن ٧ حوارات بين المؤلف وصديقه هيرمياس Hermias. ويشير بوضوح إلى المؤلف السابق . وإذا قورن بالمؤلف السابق يتبين لنا أنه يحمل الطابع الشخصى بصورة أكبر ، كما يتميز بالوحدة أكثر من الفصول الخمسة والثلاثين فى المؤلف السابق . وتتركز الحوارات الست الأولى فى الحديث عن وحدة الجوهر بالنسبة للإبن ، بينما يتركز الحوار السابق حول وحدة الجوهر بالنسبة للروح القدس .

ثالثاً : الكتابات العقيدية الدفاعية ضد نسطور المجدف

Adversus Nestorii Blasphemias

(أ) الرسائل الأولى ضد النسطورية

وهى عبارة عن الخمس رسائل(Tomes) ضد نسطور كتبت فى ربيع عام ٤٣٠ م ، وتتضمن فحصاً نقدياً لمجموعة من العظات طبعها نسطور فى السنة السابقة . و لم يظهر إسم نسطور فى هذا المؤلف ، ولكن تتضمن هذا المؤلف عدة إقتباسات من مواعظ نسطور . والكتاب الأول يتضمن رفضاً لفقرات مختارة من نسطور تهاجم لقب القديسة مريم " والدة الإله " Theotokos. والكتب الأربعة الأخرى رداً على فقرات تدافع عن القول " بأقنومين للمسيح " .

(ب) الإيمان المستقيم (الصحيح) De Recta Fide

بعد بدء النزاع النسطورى بقليل فى سنة ٤٣٠ م ، عرض القديس كيرلس على البلاط الإمبراطورى ثلاثة تقارير تختص بالإيمان المستقيم حتى يقضى على أى أثر لنسطور . وكان التقرير الأول موجهاً إلى الأمبراطور ثيؤدوسيوس الثانى ، والتقريران الاخران موجهان الى ملكات (ad reginas) دون ذكر أسمائهن ، ولقد ذهب يوحنا القيصرى فى بداية القرن السادس إلى القول بأن التقرير الأول من هذين التقريرين كان موجهاً إلى أختى الإمبراطور الصغيرتين أركاديا (Arcadia) ومارينا (Marina) وأما التقرير الثانى من هذين التقريرين فقد وجه إلى الأخت الكبيرة بوليشريا Pulcheria وزوجته أودوكيا Eudocia.

(ج) الحروم الاثنى عشر ضد نسطور

كتبت هذة الحروم فى نفس السنة (٤٣٠) . ولقد وجد القديس كيرلس أنه من الضرورى أن يكتب للدفاع عن هذة الحروم ثلاثه مقالات . فى المقالين الأولين ، رفض إتهامين وجها إليه ويتهمانه بالابوليناريــة Apollinarianism. والمونــوفيزيتزم Monophysitism، أحدهما وجه إليه من Andrew of Samosata والاخر من Theodoret of Cyurs وعلى ذلك فإن دفاع القديس كيرلس الأول ضد الأساقفة الشرقيين يجيب على إتهامــات Andrew الذى كان يمثل الأساقفة السوريين ، والدفاع الثانى (الرسالة إلى Euoptius يرد على إتهامات Theodoret Oriental Bishops. وكلا هذين المقالين Andrew من المرجح أنهما كتبا فى النصف الأول لسنة ٤١٣ حيث إنه لا توجد بهما أيه إشارة إلى مجمع أفسس . أما المقال الثالث فى الدفاع عن الحروم فقد كتبه القديس كيرلس بينما كـــان فى السجن فى أغسطس أو سبتمبر سنة ٤٣١ . ولقد إهتم القديس كيرلس أن يــبرهن علــى صحة كل حرم من الحروم الاثنى عشر بالإستناد إلى الكتاب المقدس .

(د) دفاع موجه إلى الأمبراطور Apologeticus ad Imperatorem

وجه القديس كيرلس هذا الدفاع إلى الأمبراطور ثيؤدوسيوس الثانى مباشرة بعد خروجــه من السجن ورجوعه إلى الأسكندرية ، وفيه يبرر مسلكه قبل مجمع أفسس وأثناء إنعقاده .

(هــ) شرح عن تجسد الإبن الوحيد Schola de incarnatione Unigeniti

كتب بعد سنة ٤٣١ ويشرح أولا ألقاب : المسيح – عمانوئيل ويسوع ، ثم بعــد ذلــك يتناول الحديث عن الإتحاد الإقومى كمضاد للقول بالإمتزاج والمصاحبة الخارجية فقــط . ويشير المؤلف إلى إتحاد النفس والجسد فى الإنسان كمثل قوى فى العالم المخلوق . ويوجد النص كاملاً فى ترجمات قديمة لا تينية وسريانية وارمنية . بينما فى النص اليونانى لم يبق إلا جزء صغير .

(و) ضد الذين لا يرغبون فى الإعتراف بأن العذراء القديسة والدة الإله

Adversus Nolentes Confiteri Sanctam Virginem esse Dieparam

يشهد الأمبراطور جوستينيان الاول فى عام ٥٤٢ أن هذا الكتاب هو كتــاب أصيل للقديس كيرلس ، وأول من طبعه الكاردينال ماى Mai

(ز) ضد ديودور وثيؤدور Contra Diodorem et Theodorem

كتبت هذه المقالات ضد ديودور الطرسوسى وثيؤدور الموبسويسق (of Mopsuestisa) معلمى نسطور ، وتحتوى على كتب ثلاث . ومن المرجح أنها وضعت حوالى ٤٣٨ . وقد حفظت منها شذرات هامة فى اللغتين اليونانية والسريانية .

(ح) المسيح واحد . Quaod unus sit Christus

هذا حوار يدور حول وحدة الاقنوم فى المسيح ، ويهدف إلى رفض التعاليم الخاطئة التى تزعم أن كلمه الله لم يتجسد ولكنه إتحد فقط بإنسان . وهذا يؤدى الى القول بأن هناك إبنين : إبن الله الطبيعى الحقيقى . وهناك أيضاً الى جواره إبن آخر ، إبن الله بالتبنى الذى لا يشارك الإبن الأول فى نفس الوضع . ويشير المؤلف إلى صراعه المبكر ضد الهرطقة النسطورية . ويظهر الحوار نضوجا فى التفكير والتعبير . ويبدو أن هذا الحوار يمثل واحدة من كتابات القديس كيرلس المتأخرة ضد النسطورية .

رابعاً : الدفاع ضد يوليانس الجاحد

بعد مرور أكثر من ٢٥ سنة لسيامته ، أرتأى القديس كيرلس أن يكتب دفاعاً مطولا عن ديانة المسيحيين المقدسة ضد كتابات يوليانيس الجاحد الذى كتب ثلاث كتب بعنوان " ضد الجليليين " فى سنة ٣٦٣ م . ووجهه إلى الامبراطور ثيؤدوروس الثانى .

وتشير المقدمة ألى ان الوثنية لم تمت فى مصر وأن اتهامات يوليانس ضد المسيحية كانت شائعة ومنتشرة و لم يرد عليها أحد .

ليس أكثر من العشرة كتب الاولى قد حفظت لنا كاملة فى النص اليونانى . وفى الحديث عن العلاقة بين المسيحية واليهودية والوثنية . فإن الكتب العشرة ، ترد فقط على الكتاب الاول ليوليانوس ، والذى فيه حاول الإمبراطور أن يثبت أن المسيحية ليست أكثر من يهودية منخفضة المستوى ومختلطة بمبادئ وثنية . ويبدو أن القديس كيرلس إستعمل منهجاً شبيهاً بمنهج أوريجينوس فى رده على كلسوس Contra Celsum حيث يتابع خصمه خطوة خطوة ويقتبس دائما نصوصاً من حججه . والنتيجة أننا نكون إزاء نقد تحليلى بدون أيه محاولة تركيبية . وحيث إن دفاع يوليانوس قد فقد ، فإن كتاب القديس كيرلس يبقى المصدر الاساسى ويعتبر اعادةجزئية لدفاع يوليانوس . وأما الفقرات اليونانية والسريانية للكتب من ١١ - ٢٠ من مؤلف القديس كيرلس فيبدو أنها خصصت للرد على

كتاب يوليانوس الثانى . ومن أجل ذلك فان هناك من يقترح أن الكتب العشرة الاخيرة من الكتب الثلاثين التى تضمنها مؤلف القديس كيرلس ، ترد على كتاب يوليانس الثالث المتضمن فى كتابه " ضد الجليليين " . وعلى كل هذا أمر يظل شكوكا فيه طالما ان هده الكتب العشرة الأخيرة مفقودة . وليست هناك أيه إشارة إلى ان القديس كيرلس كتب اكثر من ٢٠ كتاباً ضد يوليانس ولا ايه إشارة الى انه حاول أن يرد على كتابات يوليانس الثلاثين . ونحن نعرف من رسالة ثيؤدوريت أسقف كورش أن القديس كيرلس أرسل مؤلفه إلى يوحنا بطريرك أنطاكية . وعلى ذلك فإن تاريخ كتابة مؤلف القديس كيرلس يجب أن تكون قبل عام ٤٤١ وهى السنة التى مات فيها يوحنا ، ومن ناحية أخرى فلا يمكن أن يكون تاريخ هذا المؤلف قبل سنة ٤٣٣ م ، وهى سنة الصلح بين القديس كيرلس والبطريرك يوحنا الأنطاكى .

خامساً: الرسائل الفصحية

واصل القديس كيرلس عادة بطاركة الإسكندرية فى إرسال رسالة فصحية فى عيد القيامة المجيد ، فى صورة رسالة رعوية ، لتحديد يوم عيد القيامة والصوم السابق للعيد . ويبلغ عدد الرسائل الفصحية ٢٩ رسالة كتبت بين سة ٤١٤ – ٤٤٢ . وتتضمن الرسالة الحث على الصيام والزهد واليقظة الروحيةوالصلاة والصدقة وأعمال الرحمة . وعلى الرغم مما تتضمنه هذه الرسائل من توجهات رعوية وأخلاقية فهى تعرض أيضاً الكثير من القضايا اللاهوتية المعاصرة التى ثارت حولها المناقشات والمنازعات ، مثال ذلك : الرسائل ٥ ، ٨ ، ١٧ ، ٢٧ تدافع عن عقيدة التجسد ضد الهرطقات التى تنكر سرمدية الإبن . الرسالة ١٢ تناقش عقيدة الثالوث وتكشف عن غيرة القديس كيرلس ضد اليهودية والوثنية ، الرسالتان ١٢ ، ١٤ يتضمنان تحذيراً للمسيحيين ضد إزدواج الشخصية فينقسم الإنسان بين المسيحية والوثنية ، ويشارك فى طقوس كلتا الديانتين .

الرسالتين ٦ ، ٩ ضد الالهة الكاذبة ومواليهم .

الرسائل ١ ، ٤ ، ١٠ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٩ ضد اليهود وعدم الأمانة.

سادساً : العظات

لم يتبق لنا أكثر من ٢٢ عظة من عظاته الكثيرة التى ألقاها القديس كيرلس على مدى رئاسته البابوية ، بل وفى بعض الأحيان تكون العظة على شكل شذرات . ولقد جمعت العظات تحت إسم " عظات متنوعة " "Homiliae diversae" للتمييز بينها وبين عظات الفصح Homiliae Paschales ويفترض أن العظات الثمانية الأولى قد ألقيت سنة ٤٣١ أثناء انعقاد مجمع أفسس . ولدينا عظات ستة كاملة . والعظة الرابعة هى أشهر العظات عن العذراء القديسة مريم ، وقد ألقيت فى الكنيسة القديسة مريم فى أفسس بين ٢٣ — ٢٧ يونيو سنة ٤٣١ . والعظة الحادية عشر وعنوانها "Encomium in s. Mariam Deiparam" مديح فى القديسة مريم والدة الإله " والتى وردت فى مجموعة " مينى " (Mg77,1029-1040) ليست أكثر من هذةالعظة الرابعة وقد كتبت بإطناب وتوسع بين القرن السابع والتاسع ، كما يرى A.Ehrhard

العظات ٣ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٠ تدور حول التجسد .

العظة ٨ عن تجلى السيد "Transfigurationem Domini"

العظة ١٢"in occurum Domini"

سابعاً : الرسائل

إن مراسلات القديس كيرلس تعتبر ذات أهمية كبيرة للتاريخ المدنى وتاريخ الكنيسة ، للتشريع والتعلم الكنسى ، للعلاقة بين الشرق والغرب للتنافس بين المدارس اللاهوتية والدوائر الأسقفية . وعدد كبير من رسائله لازالت باقية . وتضم مجموعة " مينى " ٨٨ رسالة مرسلة إلى القديس كيرلس من آخرين. وقد أضاف E.Scwartz خمس رسائل أخرى أصلها اليونانى أكتشف بعد " مينى "

ومن المصادر ذات الدرجة الأولى لتاريخ العقيدة ، الرسائل المرسلة إلى نسطور ، ومن بينها على الأخص الرسالة الرابعة المسماة بالرسالة العقيدية "Epistola Dagmatic" وهى عبارة عن الرسالة الثانية المرسلة الى نسطور .

وفى الجلسة الأولى لمجمع أفسس التى إنعقدت فى ٢٢ يونيو سنة ٤٣١ م إعتمدت الرسالة بمهابة ، وكان التصويت بالإجماع من جميع الأساقفة الحاضرين ، حيث إنها تتفق تماماً مع القانون النيقاوى "Nicene Creed" وتعبر تعبيراً كاملاً عن الكنيسة الجامعة . وكذلك إعتمدت هذه الرسالة من مجمع خلقيدونية المنعقد فى عام ٤٥١ م ، ومن مجمع

القسطنطينية المنعقد فى عام ٥٥٣. والرسالة ١٧ هى الرسالة الثالثة الى نسطور التى أرسلها القديس كيرلس باسم مجمع الاسكندرية فى نهاية سنة ٤٣٠ م ، وهى تحوى فى نهايتـــها " الحروم الإثنى عشر " . وقداضيفت هذه الرسالة إلى اعمال مجمـــع افـــسس المـــسكونى . واعتمدت هذه الرسالة والحروم الإثنى عشر من مجمع أفسس ومجمع خلقيدونية .

أما الرسالة الثالثة من الرسائل المسماة بالرسائل المسكونية ، فهى الرسالة ٣٩ . وسميـــت هذه الرسائل الثلاث (٤ ، ١٧ ، ٣٩) بالمسكونية لإعتراف المجـــامع المـــسكونية بهـــا ولعلاقتها بالاتحاد بين الكنائس منذ القرن الخامس وحتى الآن . وبالنسبة للرســـالة ٣٩ ، فقد أرسلها البابا كيرلس إلى يوحنا الانطاكى سنة ٤٣٣ م بعد إستعادة السلام والوحـــدة مع كنيسة انطاكية . وتظهر هذه الرسالة فرح القديس كيرلس بتحقيق المصالحة وإستعادة صداقته مع البطريرك يوحنا . كما تحوى الرسالة وثيقة الاتحاد التى أرسلها بمجمع أســـاقفة انطاكية الى البابا كيرلس . وقد وافق البابا كيرلس على هذه الوثيقة كما يظهر فى هـــذه الرسالة . وهذه الرسالة لازالت تشكل أساساً لتحقيق الوحدة االكاملـــة بـــين الكنـــائس الارثوذكسية بعائلتيها الخلقيدونية ، فالعائلتين تقبلان تعليم البابا كيرلس كمصدر للتعلـــيم المستقيم بخصوص شخص المسيح وكيفية التعبير عن سر التجسد الفائق للعقل .

ثامناً : كتابات القديس كيرلس باللغة القبطية

نشر Budge عظة واحدة باللغة القبطية عن والدة الإله . وهناك عظة أخـــرى نـــشرها Amilineau عن الإحتمال والتسامح . ونشر العالم الألمانى Crum مجموعة أســـئلة وأجوبـــة للقديس كيرلس مع الشماس أنثيموس ، وهى ذات أهمية بالغة من الناحيةالعقائدية

(د. جورج حبيب : شرح تجسد الإبن الوحيد للقديس كيرلس عمود الدين ١٩٧٥ ص٧).

الباب الثاني
تعاليم القديس كيرلس اللاهوتية

يسند للقديس كيرلس كثير من الألقاب التي تكشف عن تمكنه في الدراسات اللاهوتيـــة . ويشير " كواستن" إلى بعض الألقاب مثل :

- المدافع الصالح عن الإيمان الجامع (بمعنى الإيمان الأرثوذكسي)

  Bonus Fidei Catholicae Defensor
- الرجل الرسولي "Vir Apostolicus"
- الكاهن الممتازجداً "Probatissimus Sacerdos "
- ختم الاباء "Seal Of The Fathers "
- معلم الكنيسة"Doctor Ecclesiae

ومن الالقاب الاخرى التي لقب بها القديس كيرلس :

- الكبير – عامود الدين- عمود النار المنير – إبن أثناسيوس – بولس الجديد – كوكب الرأى المستقيم – المصباح المنير للكنيسة الأرثوذكسية – معلم الأقوال الإنجيلية المقدسة – العاضد للإيمان المستقيم – فارس وحارس ورقيب وبطل بمجمع أفسس .(جورج بـــاقي : نفس المرجع ص ١٦٢ ، ١٦٣)

" و لم ينل الأنباكيرلس إعجاب الأفراد فحسب بل نال أيضا إعجاب الجماعـــات : فقـــد إئتمنتة كنيسة روما وأفريقيا على الدفاع عن الإيمان الأرثوذكسي في المجمـــع المـــسكوني الثالث ، كما أن كنيسة أفريقيا قد طلبت إليه أن يوافيها بالقوانين النيقية الأصلية لأن جميع الكنائس كانت تعده المدافع الأول عن الإيمان القويم ".

(إيريس حبيب المصري : نفس المرجع ص ٤٣٠) .

١- منهجه اللاهوتي

إن القديس كيرلس – فيما يشير كواستن – لم يؤثر على الفكر اللاهوتي من خلال افكاره فقط ولكن أيضاً من خلال منهجه . وهو فى الحقيقة الممثل الرئيسي للمنهج العلمي بـــين أباء الكنيسة. وهو يستند دائماً في براهينه إلى الكتاب المقدس والى تعاليم الأبـــاء . وبـــلا شك هو لم يخترع هذا المنهج فقد إستخدمه من سبقوه ، لكن أحـــداً مـــن الـــسابقين لم يستعمله بهذه المهارة الفنية الكاملة ، وهكذا أصبحت السلطة في الفكر اللاهوتي تعتمـــد على كلا هذين المصدرين : الكتاب المقدس وشهادة الآباء:

فبالنسبة إلى الكتاب المقدس يقول في معرض دفاعه عن لقب والدة الالة ":

فتعالوا بنا الآن ودعونا نبرهن بقدر الإمكان بأية طريقة قد أعلن لنا بواسطة الكتب المقدسة

سر التدبير المدرك في المسيح (رسالة رقم "١" أنظر : رسائل القديس كيرلس إلى نسطور - الجزء الثاني – ترجمة دكتور موريس تاوضروس ودكتور نصحي عبد الشهيد – مركز دراسات الاباء ١٩٨٩ ص ٧)

وبالنسبة إلى التقليد الكنسي وتعاليم الآباء ، يقول في رسالته إلى رهبان مصر :

" وقبل كل شئ ، فليكن لكم إيمان صحيح ومخلص بلا لوم على الإطلاق . لأنه هكذا – أنتم أنفسكم – بإقتفائكم اثار تقوى ابائكم القديسين سوف تسكنون معهم في المنازل العلوية ... وأيضا لكى تنفعوا الاخرين كإخوة بالأفكار المناسبة وتقنعوهم أن يحفظوا الإيمان (الإلهي) المسلم من فوق بواسطة الرسل الى الكنائس ، كجوهرة ثمينة في نفوسهم ، (الرسالة رقم " ١ ").

ويشير القديس كيرلس إلى أثناسيوس الرسولي ويقول :

" وفى كل الأحوال فإن أبينا أثناسيوس صاحب الذكرى المقدسة ، زين كرسى الأسكندرية على مدى ست وأربعين سنة ، ورتب معرفة رسولية وغير مغلوبة في المعركة ضد سفسطات الهراطقة غير المقدسين ، وابهج العالم جداً بكتاباته كرائحة عطرة جداً، والجميع يشهدون لدقة وتقوى تعاليمه " نفس الرسالة ص ٥ ، ٩)

وفى رسالته الثانية إلى نسطور

يبين أن شرح التعليم يتطلب الإلتزام بتعاليم الآ باء القديسين وأن علينا أن نشكل أفكارنا حسناً جداً لتطابق ارائهم المستقيمة والتى بلا لوم " (رسالة رقم ٤ – نفس المرجع).

" حينما يكون الأمر متعلقا بالإيمان ، وكل الكنائس في كل الإمبراطورية الرومانية قد تعثرت فماذا علينا أن نفعل ؟ لأنه لا يوجد أى أحد من أية مدينة أو أقليم أتى إلا ويقول ما هذه الإشاعات ؟ وأيضا ما نوع هذا التعليم الجديد الذي يقتحم الكنائس ؟ فماذا نفعل في مواجهة هذه الشرور ، نحن الذين قد أؤتمنا من الله على تعليم السر ، والذين سيشهد علينا في يوم الدينونة أولئك الذين يدخلون إلى الأسرار لأنهم سيقولون أنهم حفظوا الإيمان كما أدخلوا إليه بواسطتنا"(رسائل القديس كيرلس – الجزء الثاني – ترجمة دكتور موريس تاوضروس والدكتور نصحي عبد الشهيد ١٩٨٩).

ولذلك قد قيل عن المنهج الذي إستعمله القديس كيرلس في تفسيره للإنجيل بحسب القديس يوحنا ما يلي :

" كان كيرلس قد قرأ كل ما كتبه الآباء ... ولعل أهم ما قرأه هو تفسير يوحنا لكل من أوريجينوس وديديموس الضرير ، فجاء تفسير القديس كيرلس قمة في الدقة والنضوج

والوضوح اللاهوتى والروحي . وهو يفسر الإنجيل بأكثر من طريقة ويقدم التفاسير الشائعة المعروفة في ايامة .. ولذلك جاء هذا التفسير سجلا تاريخيا لكل ما قيل حتى القرن الخامس عن إنجيل يوحنا ، وما شاع في أوساط الكنيسة والهراطقة من آراء . وقد التزم القديس كيرلس بشرح النص ، وربط بين النص والعقيدة والحياة الروحية بدقة لم تجعله ينسى التأويل الرمزى الشائع في الاسكندرية منذأيام العلامة أوريجينوس. ولكن القديس كيرلس قيد التأويل الرمزى لنصوص الكتاب المقدس بشرط أساسي وهو أن يكون التأويل متفقا مع العقيدة الأرثوذكسية ونافعا للحياة الروحية .(د. جورج حبيب بباوى : الام المسيح وقيامته فى إنجيل القديس يوحنا ، للقديس كيرلس الإسكندرى – الكلية الاكليريكية ١٩٧٧ – ص٥) .

على أن أهمية القديس كيرلس في منهجه اللاهوتي ، لا تقتصر على هذة الناحية فقط من الإستناد إلى الكتاب المقدس وإلى تعاليم الآباء ، بل ايضاً إلى الإستناد في فكره اللاهوتى إلى الادلة العقلية . وبالطبع – فيما يقول كواستن – لم يكن هو أول من إستعمل هذا المنهج من الآباء ، وقد سبقه إلى ذلك الأريوسيون والابوليناريون . ولعل هذا هو السبب الذى من أجله قد استعمل القديس كيرلس هذا المنهج في كتاباته ضد الأريوسيين ، وعلى الأخص في كتابه " الكنز في وحدة الثالوث القدوس الجوهرية " . ولقد تكرر إستعماله لهذا المنهج في كتاباته الأخرى ضد الأريوسيين ، وظهر أيضا فى تفسيره للإنجيل بحسب القديس يوحنا (كواستن ص ١٣٥ – ١٣٦)

وكتب الاب القمص تادرس يعقوب عن منهج القديس كيرلس اللاهوتى ما يلى :

(أ) فى منهجه إستخدم الشهادات الآبائية مع الكتاب المقدس بطريقة فنية رائعة وكاملة . لقد دعى نفسة " محب التعليم السليم ، السالك على أثر خطوات الاباء التقوية " .

(ب) إذ إعتاد الأريوسيون على استخدام براهين عقلية ، استخدم ذات وسيلتهم للرد عليهم .

(جـ) يقول ويكهام " يمكننا أن نقول بأن ثقافة كيرلس جعلته ذا تأثير عميق ، فكان لاهوتياً مثقفا مع معرفة مهوبة للكتاب المقدس ، يستطيع أن يناضل بفيض في مناقشات التثليث العويصة . هذه الثقافة لم تعطه حب استطلاع عقلاني ... حقاً أعطته معتقدات راسخة كالهرم ، فلا يغير كثيراً في طريقة تعبيراته عبر السنوات . وكيرلس مدين بالقليل وبطريقة مباشرة للثقافة العلمانية . من من الكتاب المسيحيين كان له تأثيره الأعظم عليه ؟ من الواضح أنه مدين لأثناسيوس ، حتى إن عمله المبكر " كنز فى الثالوث القدوس المتحد جوهرياً" فى خطوطه الرئيسية مأخوذ من مقالات أثناسيوس ضد الأريوسية (الاب القمص تادرس يعقوب : الكنيسة القبطية كنيسة علم ولاهوت ص (١٠٩ ، ١١٠)

ويشير الأستاذ جورج باقى في كتابه المشار إلية سابقاً ، إلى أقوال بعض الباحثين عن منهج القديس كيرلس اللاهوتي ، ونذكر من هذه الأقوال :

١- قول Hamman
يعتبر أول من بدأ في جمع المنتخبات من كتابات الآباء .وباعتبار البابا عامود الدين رجـل العمل والنشاط ورجل اللاهوت أيضاً ، فقد كان يربط باستمرار بين العقيـدة والـنص الإنجيلي والحياة الروحية الخاصة بخلاصنا نحن البشر ، في دراسات تفوق الوصف في الدقة والأمانة والنضوج اللاهوتي والروحى ، مع التمسك بالتعليم الأرثوذكسي ، بحيث أنه قيد التأويل الرمزى الشائع بنصوص الكتاب المقدس بشرط أساسي أن يكون متفقا مع التعليم والعقيدة الأرثوذكسية ونافعا للحياة الروحية " .

١- قول Mahy

٢- يرى العالم Mahy فى كتاب – التقديس بحسب تعليم كيرلس – إن عامود الدين يقدم عرضاً جديداً لهذا الميراث التعبدى ... فهو يعيد صياغته بطريقتـه الخاصـة تاركـا بصمات طابعه الشخصي عليها .. فقد قارن هذة الحقائق ، ولحمها معاً في مجموعة معطيات تكون نظاماً واحداً متجانساً ، بينما كانت قبله متناثرة تماماً وربطهـا جميعها مع غقيدة التثليث ومع التعليل اللاهوتي لشخص السيد المسيح ، أفضل ممـا فعل كل من جاء قبله . وفي نفس الوقت أوحت له تقواه وغيرته الملتهبة أن يعـبر عن ايمانه بوضع صيغ للإيمان ، لا يساويها في الجرأة أو الحق أية كتابات أخـرى سابقة على كتاباته ، في إيجاز يدل على ما كان لدى القديس كيرلس من العقـل المتفتح الذي يستوضح الأمور وينقب ويدقق ممحصاً كل شئ قبل النطق به "

(جورج باقى : المرجع السابق ص ١٣٤ ، ١٣٥) .

٢- نماذج من الموضوعات اللاهوتية التى عالجها

ونتناول الآن – بمشيئة الله – في دراساته اللاهوتية نماذجا من الموضوعات التى عالجهـا ، مستندين بصورة كامله إلى نصوصه . وكأمثلة لهذه الدراسات ، نشير إلى تعاليمـه الـتى تختص بالموضوعات التالية

١- الثالوث القدوس .
٢- التجسد (الإخلاء – الطبيعة الواحدة) .
٣-القديسة العذراء والدة الإله .
٤ – الخلاص
٥- الإنسان.
٦- إمتيازات العهد الجديد .
٧-سر الإفخارستيا ؟

الموضوع الأول

الثالـــــوث القـــــدوس

الايمان بإله واحد – الآب

في شرحه لقانون الايمان النيقاوي يفسر القديس كيرلس عبارة " نؤمن بإله واحد " على النحو التالي :[1]

قال الاباء انهم يؤمنون باله واحد ، لأنهم كما لو كانوا يهدمون اراء اليونـــانيين مــن اساسالها " وبينما هم يزعمون انهم حكماء صاروا جهلاء ، وأبدلوا مجد الله الــذي لا يفنى يشبه صورة الانسان الذي يفنى والطيور والدواب والزحافات " روا : ٢٢ ،٢٣، " وعبدوا المخلوق دون الخالق " (روا : ٢٥) وصاروا عبيدا لأركان العالم ظانين أنها الهة كثيرة بلا عدد . لذلك فلكى يهدموا ضلالة تعدد الالهة ، قال الاباء بإلـــه واحـــد تابعين الكتب المقدسة من كل جهة ومظهرين جمال الحق لكل إنسان يــسمى تحــت الشمس ، وهذا ما فعله موسى الحكيم جداً قائلا بكل وضوح " إسمع يا اسرائيل الرب إلهك رب واحد " (تث ٦ : ٤) ، وأيضا خالق الكل وربهم يقول في موضع أخر " لا يكون لك الهة أخرى أمامي " (خر ٢٠ : ٣) وأيضايتكلم بصوت الانبياء القديسين " أش ٤٤ :٦ . لذلك فالاباء الممجدون جداً فعلوا أمراً ممتازاً إذ وضعوا قاعدة للإيمان بضرورة أن نفكر ونقول إن الله واحد متفرد بالطبيعة والحق ، ومن ثم أعلنــوا أنهــم يؤمنون بإله واحد .

وأيضا لقبوه بالآب ضابط الكل ، لكى بذكرهم الآب يظهرون الإبن معه الذى به هو اب ، قائم (أى الإبن) معه وكائن معه دائماً ، لأن الآب لم يصر اباً في زمن ، بــل كان دائماً ما كان ، أى اباً .وهو كائن دائماً فوق كل ماهو مخلوق وهــو في أعــلا الأعالى . ولأنه يضبط ويسود رباً على الكل ، بهذا يجعل له مجداً لا يقارن . وأيضا يؤكد الآباء أنه خلق كل الأشياء التى في السموات والتى على الأرض ،وهكذا يكــون إختلافه عن كل الخليقة أمراً معروفاً . لأنه لا يمكننالمقارنة بين الخالق والمخلــوق ، ولا بين غير الحادث والحادث ، ولا بين الطبيعة الخاضعة لنير العبودية والطبيعــة المزدانــة بكرامات السيادة والمالكة لمجد إلهي فوق المجد العالمي .

---

[1]- ترجمة : دكتور موريس تاوضروس ودكتور نصحى عبد الشهيد

وفي شرحة لعلاقة الإبن بالآب ، في قانون الإيمان ، يقول القديس كيرلس :

ولكن عندماتكلموا (أى الآباء) عن الإبن ، ولكى لا يظهر أنهم لا ينسبون إليه إسما مشتركاً مثل الإسم الذي يمكن أن ينسب إلينا نحن أنفسنا ، لأننا ندعى أيضا أولاد (غلا ٤ : ٦) فبكل فطنة وصفوه بتلك الأسماء التى بواسطتها يمكن أن يدرك لمعان المجد الطبيعى الذى فيه ، والذى هو أعلا من الخليقي ، لأنهم قالوا إنه " مولود غير مخلوق " مدركين أنه من جهة الجوهر لا يصنف مع المخلوقات ، بل بالحرى أكدوا بيقين أنه مولود من جوهر الله الاب ، خلواً من زمن وبطريقة تفوق الإدراك لأنه " في البدء كان الكلمة " (يو ١ : ١) ثم حينما يذكرون حقيقة الولادة بطريقة جيدة جداً (ولنشرح هذه الحقيقة على مستوى إنساني لأجل المنفعة) فإنهم يقولون إن الله الإبن مولود من الله . لأنه حيثما تكون ولادة حقيقية فيلزم من كل جهة تبعا لذلك أن نفكر وأن نقول إن المولود ليس من جوهر اخر غير جوهر الوالد ، بل هو من نفس جوهر الذي ولده لأنه يناسب ويلائم منطقيا كونه من هذا الجوهر . فغير الجسداني لايلد بحسب الجسد بل بالحرى بهذه الطريقة أعنى مثل (ولادة) النور من النور ، حتى أن النور الذى شع يعرف أنه في النور الذي أومض وأنه منه بحسب الصدور الذي لا ينطق به ولا يعبر عنه وان يكون فيه بحسب وحدة وتطابق الطبيعة .وهكذا نحن نقول : إن الإبن فى الآب والاب في الابن . فالابن يرسم في طبيعته الخاصة ومجده ، ذلك الذى ولده . وقد قال بوضوح لواحدٍ من تلاميذه القديسين " من رآني فقد رأى الاب " (يو ١٤ : ٩ - ١٠) وقال أيضاً " أنا والآب واحد " (يو ١ : ٣٠) وتبعا لذلك فهو من نفس الجوهر مع الاب .وهكذا ايضا فإننا نؤمن أنه إله حق من إله حق. وهكذا فإن كل أحد يستعمل إسم الولادة والبنوة عنه فإنه لا يتكلم بالكذب مطلقاً ... وتفهم الولادة على أنها منه وفيه وأن كلا منهما موجود بأقنومه الخاص لأن الاب هو اب وليس إبناً والإبن هو المولود وليس هو اب وكل منهما يكون ما كان عليه ولهما في وحدتهما نفس الطبيعة .

وفي شرحه لعلاقة الروح القدس بالإبن والآب في قانون الأيمان ، يقول :

وبعد أن أنهى الآباء المثلثو الغبطة كلامهم عن المسيح ، فإنهم ذكروا الروح القدس ، لأنهم قالوا إنهم يؤمنون به كما يؤمنون - بداهة - بالاب والابن ، لأنه من نفس الجوهر معهما ، وهو ينسكب أى ينبثق من ينبوع الله الاب ويمنح للخليقة بواسطة الإبن . لهذا نفخ في الرسل القديسين قائلا " أقبلوا الروح القدس " (يو ٢: ٢٢) ، ولذلك فالله الروح هو من

لله وليس غريبا عن الجوهر الذي هو أعلا من الكل ، بل هو من ذلك الجوهروهو كائن فيه وهو خاص به .

على أن القديس كيرلس تحدث بإفاضة عن الثالوث القدوس ، وعن الإبن بالـذات في دفاعة ضد الأريوسية والنسطورية ونستكمل حديثنا من خلال النقاط التالية :

١- التأكيد على التمييز بين الأقانيم .

٢- الابن ، ألوهيته وعلاقته بالاب .

٣- المسيح وعلاقته بالروح القدس

٤- ألوهية الروح القدس.

١- التأكيد على التمييز بين الأقانيم.

يقول القديس كيرلس في شرحة للإنجيل حسب القديس يوحنا ما ملخصه :[1]

لقد كتب الرسول يوحنا أن الكلمة كان في البدء أى " في الله الاب " ولكن لأن عين ذهنه قد إستنارت ، لم يجهل أن البعض سوف يقومون بجهل شديد ليدعوا أن الاب والإبن واحد ، وأنهما غير متمايزين إلا في الأساء فقط ، وأنه ليس في الثالوث أقـانيم . وتمـايز الاقانيم يعنى أن الاب هو فعلا آب وليس إبنا وكذلك الإبن هو إبن وليس اباً . ويقـول الرسول يوحنا " الكلمة كان عند الله ، أكد انة متمايز وأقنوم آخر غير أقنوم الآب الذي معه الكلمة .

والذين ينكرون الاقانيم لا يدركون أن الواحد الذي بلا أقانيم لا يمكن أن نقول أنه " معه " أو " كان معه " فهو وحده بذاته . ومع أن الإبن في الآب والآب في الإبن إلا أن هذا لا يعني أن الإبن فقد أقنومه المتميز، ولا أن الآب فقد أقنومه الخاص به. فالتماثل التام بـين الأقانيم لا يعني إختلاط الاقانيم ، حتى أن الآب الذي منه يولد الإبن يصبح بعد ذلك إبنا ، ولكن الطبيعة الإلهية الواحدة نفسها هى للاقنومين مع تمايز كل منهما ، حـتى أن الاب هو الآب ، والإبن هو الإبن ، وأيضا الروح القدس يحسب معها مثل الآب والإبن . وهذا هو كمال الثالوث المعبود .

لو كان الإبن اباً أيضاً فما هو معنى تمايز الأسماء ؟ لو كان الاب لم يلد أحداً مـن ذاتـة فلماذا يدعى الآب؟ ولماذا يدعى بهذا الإسم لو كان غير مولود من الآب ؟ إن تمايز الأسماء يعني تمايز الأقانيم، فالابن له أقنوم متميز كما أن الآب له أقنوم متميز مثل تمايز الوالد عن المولود .

١- شرح لنجيل يوحنا للقديس كيرلس الأسكندرى : ترجمه عن الانجليزية (د . جورج ببلوى وراجعه دكتور دكتور نصحى عبد الشهيد – مركز دراسات الآباء ١٩٨٩ .

يكتب الرسول بولس " الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب مساواته لله إختلاساً .
فالتمايز هنا ظاهر لأن الذى هو صورة الله متمايز عن الأصل . فالآب والابن ليسا واحداً
[illegible] بسبب وحدة الجوهر ، لأنهما إله من
[illegible]
إله ، الإبن من الآب . وقال المخلص " أنا والآب واحد " مؤكداً أن له كيان خاص متمايز عن كيان الآب وإذا لم يكن هذا هو الحق الواضح فلماذا قال " أنا والآب " كان عليه الإكتفاء بكلمة واحد.

وقال الله " نخلق الإنسان على صورتنا كشبهنا" فلو كان الله أقنوما واحداً فقط لقال " أخلق الإنسان على صورتي "

ونحن نتبرر بالإيمان بالله الاب وابنه يسوع المسيح وبالروح القدس . ولذلك يأمر المخلص تلاميذه قائلا " إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم بأسم الآب والابن والروح القدس "
فإذا كان اختلاف الاسماء لا يعطينا الإعتقاد بإن الأقانيم ثلاثة ، فما الفائدة من إستخدام الأسماء الثلاثة ؟ إذا كان من يتكلم عن الآب يعنى الإبن أو من يتكلم عن الإبن يعني الآب ، فما الداعي إلى الوصية بإن يعتمد المؤمنون باسم الثالوث وليس بالإسم واحد ؟ ولكن لأن الطبيعة الالهية هي الثالوث ، فمن الواضح أن كل أقنوم له كيانه الخاص . ولما كان لا يوجد اختلاف بينهم في الطبيعة الإلهية ، فإن اللاهوت واحد ، وكل أقنوم يعبد مع الأقنومين الأخرين .

ويشير القديس كيرلس إلى العديد من الآيات التي توضح تمايز الأقانيم .

(الذي وهو بهاء مجده ورسم جوهره ، وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته بعدما صنع بنفسة تطهيرا لخطايانا ، وجلس عن يمين العظمة في الأعالي (عب ١ : ٣)

(خرجت من عند الآب وقد أتيت الى العالم ، وأيضا اترك العالم وأذهب إلى الآب) .
(يو ١٦ : ٢٨)

(فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتا ونارا من عند الرب من السماء).(تك ١٩ : ٢٤)

(وقال له يسوع أنا هو الطريق والحق والحياة . ليس أحد يأتي الى الآب الى بي . لو كنتم تعرفوني لعرفتم أبي أيضا . ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه) . (يو ١٤ :٦-٧)

(الذي هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة فإنه فيه خلق الكل ما في السموات وما على الأرض ، ما يرى وما لا يرى . الكل بة وله قد خلق " (كو ١ :١٦)

وفي الأصحاح التاسع من تفسيره للإنجيل حسب القديس يوحنا ، يقول القديس كيرلس الاسكندري :

لا ينبغي أن يشك أحد بالمرة ، ويظن أن الأبن أقل من الأب لأنه هو يبين أنه صورة الآب غير المشوهة ، حافظاً في ذاته رسم الآب كاملا وصحيحا . ونحن نقول أن الآب والإبن هما واحد غير مازجين فرديتهما بإستعمال العدد واحد، كما يفعل بعض الذين يقولون إن الآب والإبن هما نفس الشخص بل نؤمن أن الآب هو قائم بذاته والابن قائم بذاته موحدين الاثنين في نفس الجوهر ، وعارفين أيضا أن لهما قدرة واحدة ، حتى إن هذه القدرة ترى بدون إختلاف في الواحد كما في الآخر. وبكلمة واحد يشير الى وحدة الجوهر ، وبكلمة نحن ويشير الى اثنين ثم بعد ذلك يوحدهما معا في لاهوت واحد

(انظر : شرحج إنجيل يوحنا للقديس كيرلس الاسكندري : الأصحاحان التاسع والعاشر – ترجمة دكتور موريس ناوضروس – ودكتور نصحي عبد الشهيد ٢٠٠٣ ص ١٥١)

ويمضى القديس كيرلس الى القول :

الرب يقول " أعمالا كثيرة حسنة اريتكم من عند ابي " يو ١٠ : ٣١ ويعلق القديس كيرلس على ذلك فيقول : الرب يشير الى أن الأعمال التى أراها لهم هى من الآب ، لا ليبين ان القوة التى ظهرت في هذه الأعمال هى قوة اخرى غير قوته بل لكى يظهر أنها كانت اعمالا لاهوتية ، ندركها على أنها واحدة فى الآب والابن والروح القدس : فكل ما يفعله الآب فهذا يتممه بالابن فى الروح وأيضا ما يعمله الابن فهذا يعمله الآب في الروح لهذا ايضا يقول المسيح " لا أعمل من نفسي شيئا بل الآب الحال فى هو يعمل الأعمال "ويشير إلى أن (الأعمال الإلهية تظهر إننى مساو لله الآب رغم انه من جهة الجسد أبدو اني واحد بينكم مثل انسان عادي . وهكذا فمن الممكن أن تدركوا أنى (في الأب والآب فى .. لأن وحدة الجوهر تجعل الآب يرى فى الابن والابن يرى في الآب وحتى في حالتنا البشرية ، فإن جوهر الوالد يعرف في المولود منه ، وأيضا جوهر الطفل يعرف في والده لأن نوع الطبيعة واحد في الجميع وجميعهم واحد في الطبيعة. ولكن حينما نميز أنفسنا الواحد عن الاخر عن طريق اجسادنا فالكثيرون لا يكونون واحداً ومثل هذا التمييز بين الاجساد لا يمكن الحديث عنه فيما يخص ذاك الذى هو إله بالطبيعة لأن ما هو إلهي لا جسد له ، رغم اننا ندرك الثالوث القدوس على انه قائم في اقانيم متميزة. لأن الآب هو الآب ، والروح القدس هو الروح (وليس هو الآب او الابن) ومع ذلك فلا يوجد بينهم اى اختلاف ، بل هم فى شركة ووحدة الواحدمع الاخر. وبما انه ليس هناك سوى ألوهية واحدة فى الاب والابن والروح القدس، لذلك نقول إن الآب يرى في الابن، والابن يرى في الآب ومن الضروري أن نعرف هذة النقطة الاخرى أيضا . إن ما يجعل الابن يقول "

أنا فى الآب والآب فى " يو ١٤ : ١٠ وايضا " أنا والآب معا واحد " يو ١٠ : ٣٠ ليس فقط لأن الابن يرغب نفس الأمور كالآب وليس فقط لأنه يملك إرادة واحدة معه بل مـــا [illegible]

يجعله هكذا هو انه المولود الأصيل لجوهر الآب . فهو يظهر الآب في [illegible] في الآب ، فهو يقول إنه يريد ويتكلم ، ويملك نفس فاعلية الآب وبسهولة ينجز ما يريـــد مثلما يفعل الآب وهكذا يعترف به من كل ناحية أنه من نفس الجوهر مع الآب ، وهـــو ثمرة حقيقية لجوهره. ووحدته مع الآب ليست مجرد وحدة نسبية معه تظهر في تماثل الإرادة والتزمات المحبة ، تلك الوحدة النسبية التي تقول إنها تخص مخلوقاته .[1]

(المرجع السابق ص ١٥٨ ، ١٥٩)

٢-الإبن ، ألوهيتة وعلاقتة بالاب :

يشرح القديس كيرلس عبارة " في البدء كان الكلمة" فيقول :

+ لا يوجد ما سبق البدء إذا ظل بالحق بدءاً، لأن بدء البدء مستحيل . وإذا تـــصورنا أن شيئاً ما سبق البدء تغير البدء و لم يعد بدءاً بالمرة . إن هذا يعني أن الإبن لم يخلق بالمرة بل هو كائن مع الآب " كان في البدء " . ليس من الممكن أن نعتبر " البدء " خاصاً بزمان مهما كان . فالبدء الذي يمكن قياسه بالزمان والمسافات سوف يتعداه الإبـــن . بالنـــسبة للإبن البدء ليس بدءاً زمنيا ولا جغرافيا ، فهو أزلي وأقدم من كل الدهور ، و لم يولد مـــن الآب في الزمان لأنه " كان " مع الآب .مثل الماء في الينبوع ، أو كما هوقال " خرجـــت من عند الآب وقد أتيت الى العالم " يو ١٦ : ٢٨ . فإذا اعتبرنا الآب المصدر أو الينبوع ، فإن الكلمة كان فيه لأنه حكمته وقوته ورسم (صورة) أقنومه وشعاع مجـــده . وإذا لم يكن وقت كان الآب فيه بلا حكمة وكلمة وصورة وشعاع ، فإنه من الواضح أن الإبـــن الذي هو حكمة وكلمة وصورة الآب وشعاع مجده ، فهو أزلي مثـــل الآب الازلي ، وإلا كيف يوصف بانه صورته الكاملة ومثاله التام ، إلا إذا كان له بوضوح ذات الجمال الذى هو على صورته .

الإبن فى الآب مثل الماء في الينبوع ، أو أن الآب هو الينبوع . إن كلمة ينبوع تعني هنـــا المعية ، لأن الإبن فى الآب وهو من الآب ، ليس كمن يأتي من الخارج في الزمان ، بل هو من ذات جوهر الآب . يشع مثل الشعاع من الشمس أو صدور الحرارة من النار . هـــذه الامثلة تعنى أن نرى كيف يولد أو يصدر شئ من شئ ، وفي نفس الوقت لا يصدر متأخراً أو بعد زمن ، أو أن تكون لة طبيعة مختلفة بل يصدر الشئ من الشئ ويظل كائنا معـــه لا

---

[1] المرجع السابق ص ١٥٨ ، ١٥٩ .

ينفصل عنه ، بل لا يمكن لأى منهما أن يوجد بدون الآخر ، فلا شمس بلا شعاع ولا شعاع بدون شمس ولا نار بلا حرارة ولا حرارة إلا من نار.

+ إذا كان الإبن هو " حكمة وقوة الآب " فإذا كان الإبن أقل من الآب ، تكون حكمة الله ناقصة ، " وقوة " الله ناقصة فيصبح الآب نفسة غير كامل ، وهذا كفر .

إذا كان الابن هو الملء " لأن من ملئة نحن جميعا أخذنا " فكيف يكون الابن هو الملء ، وفي نفس الوقت اقل من الآب .

ويقدم القديس كيرلس إثنين وعشرين برهانا لتأكيد ألوهية الإبن ومساواته للآب في الجوهر .

المسيح وعلاقته بالروح القدس

يقول القديس كيرلس : بسبب وحدة الجوهر ، فالروح موجود فى اللإبن كما هو فى الآب أيضا . ويشير إلى قول القديس لوقا " فلما أتوا الى ميسيا حاولوا أن يذهبوا الى بيثينية ، فلم يدعهم روح يسوع (أع ١٦ : ٧) (كما في الترجمة السريانية القديمة وفى أقدم المخطوطات).

وفيما يختص بالعلاقة بين السيد المسيح والروح القدس ، يقول :

إذا كان أحد لم يستحسن ما قلناه ، ويعترض على الشرح الذى قدمناه ، وبغيرة عمياء يدعي أن الابن ينال الروح القدس بالمشاركة أو أنه لم يكن فيه من قبل ، ثم حل الروح فيه عندما إعتمد وأثناء فترة التجسد ، فعليه أن يرى إلى أية درجة من عدم الإدراك سوف يسقط ، لأنه أولا يقول المخلص : ليس بين المولودين من النساء من هو أعظم من يوحنا (مت ١١ : ١١) وهذا حق ولكننا نرى أن الذى وصل إلى هذه المكانة والمجد والفضيلة كإنسان ، يكرم المسيح بكرامة لا يمكن مقارنتها ، فهو يقول : " أنا لست مستحقا أن أنحني وأحل سيور حذائه " مر ١ : ٧ . فكيف لا يبدو غير معقول ، بل بالحقيقة كفر أن نؤمن أن يوحنا " امتلأ من الروح القدس من بطن أمه " لو ١ : ١٥ ، ونعتقد أن سيده ، بل سيد ورب الكل قبل الروح القدس عندما اعتمد ، مع أن جبرائيل يقول للسيدة العذراء " الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك ، لذلك القدوس منك يدعى ابن الله " (لو ١ : ٣٥) . وعلى محب المعرفة أن يرى قوة الكلمات التى تتمخض بالحق ، لأنه يقول عن يوحنا " يمتلئ من الروح القدس (لأن الروح القدس صار فيه كعطية وليس كالجوهر) أما عن المخلص فالملاك لا يقول " سوف يمتلئ " بالمعنى الدقيق للكلمة بل " القدوس المولود منك " و لم يقل " المولود منك سوف يصير قدوسا فهو دائما قدوس بالطبيعة لأنه الإله .

ويمضي القديس كيرلس فيشرح علاقة الإبن بالروح القدس بعد التجسد فيقول :
قال الملاك : " الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك ، لذلك القدوس منك يدعى

إبن الله " . ويتساءل القديس كيرلس : هل كان قبل التجسد هو إبن الله أم كان له مجد البنوة بالإسم فقط ، وهل دعى زوراً الإبن أم هو بالحقيقة كذلك ؟ فإذا قالوا أنه لم يكن الإبن بالمرة فبذلك ينكرون الآب كمن لا ابن له ، واذا اعترفوا بانه الابن قبل التجسد وانه كان وسيظل الابن فكيف يقول الملاك في البشارة للعذراء القديسة أن الذي سيولد منها سيدعى ابن الله ؟ ويجيب القديس كيرلس على ذلك فيقول : لأنه (اى الكلمة) بالطبيعة إبن الله ، لأنه كذلك منذ الازل مع الآب . ولكن عند التجسد ولأنه سوف يظهر للعالم بالجسد ، يؤكد الملاك أنه سيدعى إبن الله ، اى لن يفقد طبيعته الالهية .
وكذلك أيضا فالابن له الروح حسب وحدة الجوهر ، ولكنه قيل أنه سيقبله كأنسان لكى يحفظ للانسانية الصلاح الذى نحتاجه ، ومع هذه العطية يحفظ لنا كل ما يمكن أن نأخذه . ويتساءل أيضا القديس كيرلس : كيف يمكن أن نعتقد أن الكلمة يمكن أن يكون منفصلا عن روحه ؟ ألا يكون غير معقول أن نقول أن روح الانسان ليست فيه . وحسب تعريف طبيعة الانسان الكاملة والحية ، هل يمكن أن نتكلم عن انسان بلا روح ، وهكذا كيف يمكن أن نفصل الروح القدس عن الابن الذى هو معه ومتحد به في الجوهر الواحد وهو موجود فيه بالطبيعة ولا يمكن أن يكون مختلفا عنه لأنه أقنوم مثله له ذات الطبيعة الالهية التى للابن . وعلينا أن نسمع ما يقوله المخلص لتلاميذه " أن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى ، وأنا اطلب من الآب وهو سيعطيكم معزيا اخر روح الحق الذى لا يستطيع العالم ان يقبله " (يو ١٤ : ١٥-١٧) . وها هو يقول عن الروح القدس " روح الحق " والابن وحده وليس اخر غيره هو الحق لأنه يقول " انا هو الحق " (يو ١٤ : ٦) . واذا كان الابن بالطبيعة يدعى الحق ، فعلينا أن نرى كم هى عظيمة الوحدة التى بينه وبين الروح القدس . وهى التى جعلت يوحنا الرسول يقول عن مخلصنا " هذا الذى جاء بالماء والدم والروح ، يسوع المسيح ، ليس بالماء فقط وإنما بالماء والدم ، والروح هو الذى يشهد لان الروح.هو الحق " (١يو ٥: ٦) ولذلك السبب نفسه إذ يحل الروح القدس فى انساننا الداخلى (اف ٣ :١٦) يقال أن المسيح نفسه هو الذى يحل فينا (أف ٣ : ١٧) . وحقا يعلمنا بولس المبارك ذلك قائلا " ولكنكم لستم فى الجسد ولكن فى الروح ، وان كان روح الله ساكنا فيكم " والان إذا كان إنسان ليس له روح المسيح فهو ليس للمسيح ، وان كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطية أما الروح فحياة بسبب البر (رو ٨ :

٩-١٠) لأن الرسول يسمى الروح الساكن فينا روح المسيح ، ولذلكم فوراً يضيف " وإن كان المسيح فيكم " مقدما بذلك المساواة التامة بين الابن والروح وكما يقـول يوحنـا المبارك " بهذا نعرف أنه ساكن فينا لأنه اعطانا من روحه " (١يو ٤: ١٣) . فاذا افترض أحد أن الإبن قبل الروح القدس عندما تأنس، فعليه أن يعلن رأيه بصراحة ويقول ان كلمة الله لم يكن قدوسا قبل تجسده .

ويمضى القديس كيرلس فى حديثه عن معمودية المسيح فيشير إلى أن يوحنا المعمدان لم يـر الروح القدس كما هو فى طبيعته بل فى شكل حمامة وفى ظلال وداعة الطائر . ويعلق على ذلك فيقول : بذلك حفظ لنا الانجيلى المساواة أيضا بين أقنوم الابن واقنوم الروح القدس ، فالابن يقول عن نفسه " تعلموا منى لأنى وديع ومتواضـع القلـب (مـتى ١١: ٢٩) . فالروح لم يظهر مطلقا لأنه الله واحتفظ بطبيعتة الالهية غير الظاهرة ، وظهر فقط في شكل حمامة بسبب الاعلان الذى قدم ليوحنا المعمدان الذى قال أن نزول الـروح وهـب لـه كعلامة ، لكى يشهد للمخلص . أما الهراطقة فقد أخذوا العلامة على غير معناها ، مع انها أعطيت كعلامة فقط ولأجل اعلان تدبير ، وكما قلت " والكلام للقـديس كيرلـس " وبسبب حاجة الجنس البشري (ص ١٧٠ – ١٧٣).

وفى تفسيره للإنجيل بحسب القديس لوقا ، يقول القديس كيرلس :

كيف يستطيع ذاك الذى نال الروح – إن كان هو حسب قولكم إنسانا منفصلا ومستقلا بنفسه – كيف يستطيع ان يعمد بالروح القدس ؟ إنه من المستحيل أن يؤمن بأن القـدرة على تعميد الناس بالروح القدس هى من عمل مجرد إنسان لا يزيد عنا فى اى شئ .

لقد قال الرسول بولس " الذى إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله ، لكنه أخذ صورة عبد صائرا في شبه الناس ووضع نفسه الى الفقر . فابحثوا اذن ، من هو ذاك الذى كان أولا فى صورة الله الآب وهو فى الحقيقة مساو له ، ولكنه أخذ صورة عبد وحينئذ صار إنساناً ، وإلى جانب ذلك جعل نفسه فقيراً . هل هو الذى من نـسل داود كما يجادلون الذى يعتبرونه منفصلاً بنفسه كإبن اخر عـن كلمـه الله الآب ؟ إن كـان كذلك فدعهم يبينون متى كان مساوياً للآب ؟ دعهم يبينون كيف اتخذ صورة العبد ؟ أو ماذا نقول عن ماهية صورة العبدتلك ؟ وكيف أخلى نفسه . فهل يوجد ما هو أفقر مـن الطبيعة البشرية ؟ لذلك فالذى هو صورة الله الآب وشبهه والتعبير الواضح عن شخصه ، والذى يشع بهاء فى مساواة معه ، والذى بالطبيعة هو حر ، هذا هو نفسه الـذى اتخـذ صورة عبد ، أى صار إنساناً ، وجعل نفسه فقيراً ، إذ رضى أن يحتمـل هـذه الأمـور

البشرية ما عدا الخطية. ولكن الهراطقة يعترضون قائلين : كيف اعتمد ونال الروح أيضاً ؟ فنجيبهم : إنه لم يكن محتاجاً للمعمودية المقدسة إذ هو كلى النقاوة وبلا عيب وقدوس من

قدوس . كما أنه لم يكن محتاجاً للروح القدس ، لأن الروح المنبثق من الآب وهو معه ومساوله فى الجوهر ، ولذلك يجب أن نستمع الآن إلى شرح التدبير اى خطه الله : إن الله فى محبته للإنسان زودنا بطريق الخلاص والحياة . لأننا بالإيمان بالآب والإبن والروح القدس وبإعترافنا بهذا الإقرار أمام شهود كثيرين ، فإننا نغسل كل وسخ الخطية ونغتنى بالحصول على الروح القدس ونصير شركاء الطبيعة الإلهية ، ونناال نعمة التبنى . لقد كان ضروريا إذن أن كلمة الآب حينما وضع نفسه إلى الاخلاء وتنازل ليتخذ شكلنا كان ضروريا أن يصير من أجلنا نموذجا وطريقاً لكل عمل صالح . فالذى هو الأول فى كل شئ ينبغى أيضاً أن يضع نفسه مثالاً فى هذا . لذلك فلكى نعرف قوة المعمودية المقدسة نفسها والنعمة العظيمة التى نحصل عليها بالإقبال إليها ، فإنه يبدأ هذا العمل (المعمودية) بنفسه ، وحينما إعتمد صلى لكى تتعلموا أنتم يا أحبائى أن الصلاة بلا إنقطاع هى أمر يناسب جداً لأولئك الذين حسبوا أهلاً للمعمودية المقدسة

فى الرسالة رقم ١٧ كتب القديس كيرلس :

ولكن حينما يقول عن الروح " ذلك سيمجدنى" فنحن بصواب لا نفهم أن المسيح الواحد والإبن . بسبب أنه فى إحتياج إلى مجد من اخر ، إكتسب مجداً من الروح القدس ، وذلك لأن روحه ليس منه ولا هو فوقه . وهو يقول إنه تمجد منه ، مثلما يقول أى واحد منا عن أية قوة فى داخله أو عن فهمه لموضوع معين " إنها سوف تمجدنى " . لأنه حتى إن كان الروح يوجد فى أقنومه الخاص ويعرف بذاتة حيث أنه هو الروح وليس الإبن ، إلا أنه مع ذلك ليس غريباً عن الإبن ، لأنه يدعي روح الحق والمسيح هو روح الحق والروح ينسكب منه ، كما بلا شك من الله الآب أيضاً .لذلك فإن الروح صنع عجائب بأيدى الرسل القديسين بعد صعود ربنا يسوع المسيح إلى السماء وبذلك بمجده ، لأننا نؤمن أنه الله حسب الطبيعة ، وأيضاً أنه نفسه يعمل بروحه الخاص . ولهذا السبب قال أيضاً " لأنه يأخذ مما لى ويخبركم " (يو ١٦ : ١٤) . ونحن لا نقول مطلقاً أن الروح حكيم وقوى نتيجة المشاركة ، لأنه كلى الكمال ولا ينقصه أى صلاح ولكن حيث أنه روح قوة الآب وحكمته أى روح الله الإبن فهو بالحقيقة الحكمة والقوة[1]

١- تفسير إنجيل القديس لوقا للقديس كيرلس الاسكندرية -الجزء الأول - ترجمة دكتور نصحى عبد الشهيد ١٩٩٠ ص٧٤ - ٧٦ ، رسائل القديس كيرلس إلى نسطور ويوحنا الأنطاكى - ترجمة دكتور موريس تاوضروس ودكتور نصحى عبد الشهيد - مركز دراسات الآباء ١٩٨٨ ص ٣٢ - ٣٤ .

ويشير القديس كيرلس الإسكندرى إلى ما أورده القديس لوقا فى إنجيله عن مسح المسيح بالروح القدس "روح الرب على لأنه مسحنى لأبشر المساكين ، أرسلنى لأشفى منكسرى القلوب .. ، لو ١٨ -٢١ ويعلق على ذلك فيقول :
إنه (أى المسيح) بهذه الكلمات يبين بوضوح أنه أخذ على نفسه الإنسحاق والخضوع للإخلاء من مجده . وقد اتخذ إسم " المسيا" وحقيقته من أجلنا . لأنه(أى المسيح) يقول إن الروح الذى هو بالطبيعة موجود فى ، وأنا وهو من نفس الجوهر والألوهية ، هذا الروح نفسه نزل علىّ أيضاً من الخارج . وهكذا فإنه أتى على أيضاً فى الأردن على شكل حمامة ، ليس لأنه لم يكن موجوداً فى ،ولكن لأجل السبب الذى من أجله مسحنى . وماهو السبب الذى من أجله اختار المسيح أن يمسح ؟ السبب هو لأننا نحن صرنا مقفرين من الروح بذلك الحكم القديم " لا يسكن روحى فى الإنسان ، لأنه بشر " تك ٦ : ٣ . هذه الكلمات يقولها كلمه الله المتجسد .فلكونه الإله الذى من الله الآب ، ولأنه صار إنساناً لأجلنا دون أن يلحقه تغيير ، فإنه يمسح معنا بزيت الإبتهاج ، إذ نزل عليه الروح فى الأردن على شكل حمامة . لأنه قديما كان الملوك والكهنة يمسحون رمزياً ، وبهذا يحصلون على درجة معينة من التقديس . أما هذا الذى تجسد من أجلنا ، فقد مسح بالزيت الروحانى زيت التقديس ، ونزل عليه الروح القدس بالحق ، وهو قبل الروح لا لأجل نفسه ، بل لأجلنا ، لأنه كما أن الروح غادرنا و لم يسكن فينا لكوننا جسداً ، لذلك إمتلأت الأرض من الحزن لأنها قد حرمت من المشاركة فى الله .[1]
وفى شرحه للآية " لأنه ليس بكيل يعطي الله الروح " يقول القديس كيرلس :
إنتبه الان ياصديقى الصالح انتباها خاصاً قوياً ، إنه يقول إنه من المستحيل أن الذين قبلوا " الروح بكيل" يمكنهم أن يعطوه لغيرهم ، لأنه لم يحدث قط أن قديساً قد أعطى الروح القدس لقديس اخر ، لكن الإبن يعطى الروح للكل من ملئه الخاص . إذن فهو" لا يعطى الروح بكيل "وأيضاً هو ، ليس له نصيب قليل من الروح القدس كما يقولون هم وأن هذا النصيب يأخذه بالمشاركة . إذ هو معطى الروح أيضاً ، فظاهر كما أعتقد أنه له الروح بالكامل جوهرياً فى ذاته . إذن فالذى يفوقهم بهذا المقدار العظيم لا ينطق بأمور الله
كواحد منهم بل إذ هو إله من إله – يفيض بكلمات إلهية . وليس هنا من تداخل مع ماهو مكتوب أنه بوضع ايدى الرسل يعطى الروح للبعض (أع ٨ : ١٨) لأننا نؤمن أنهم (أى الرسل) هم مستدعو الروح القدس وليسوا فى الواقع واهبى الروح . وحيث إن المبارك

١- تفسير انجيل لوقا – الجزء الأول – ص ٩٤ .

موسى أيضاً لم يكن قد فرض عليه لكى يأخذ من الروح الذى كان عليه ، بل حفـــظ الله
[illegible] أيضاً سلطانه هو وحده قائلاً لان موسى يجب أن يجمع السبعين وقد وعـــده الله أن
[illegible]
يأخذ من الروح الذى كان عليه (على موسى) ويضعه عليهم (قابل عـــد ١١ : ١٧) لأنه عرف أنه يليق بالله وحده أن يفعل الأمور الإلهية[2] .

المسيح ذو السلطان الذاتى :

يتحدث القديس كيرلس عن ألوهية السيد المسيح ويقول فى تفسيره للإصحاح العاشر من الإنجيل للقديس يوحنا في تعليقه على قول السيد المـــسيح " لى ســـلطان أن أضـــعها ولى سلطان أن آخذها أيضاً " يو ١٠ : ١٨ " ما يلى : ان السيد المسيح لم يقل " لى ســـلطان فقط " عندما يقول (أضع نفسى للموت ، بل يقول " لى سلطان " فيما يخـــص المـــوت والقيامة معاً ، لكى يظهر أن عمل القدرة والطاقة ليس خاصاً بآخر غيره منح لـــه هـــذا السلطان كخادم وعامل عنده ، بل لكى يظهر أن قوته فى ممارسة السلطان حـــتى علـــى رباطات الموت هى ثمرة طبيعته الخاصة ، وأنه يستطيع بسهولة أن يعدل طبائع الأشياء بأى طريقة يريدها . وهذه إحدى خصائص الذى هو بالطبيعة الله . فبقوله " لى سلطان " يبنين أنه لم يأخذ أمراً كعبد أو خادم ، كما أنه لم يكن نتيجة اضطرار أو اجبار من آخرين ، بل باختياره جاء ليفعل هذا (ترجمة دكتور موريس تاوضروس ، ودكتور نصحى عبد الشهيد : المرجع السابق ص ١٤٠).

وفى تعليق القديس كيرلس على قول السيد المسيح " هذة الوصية قبلتها من أبى " يو ١٠ : ١٨ " يقول : لئلا يدخل أحد النزاع أو الخلاف فى الألوهية الواحدة التى للآب والابـــن فالرب بهذه الكلمات التى يقولها " قبلت وصية " يبين أن الآب أيضاً موافق وراض عن هذا ، ويوضح أنهما يتممان هذا الأمر برأى واحد رغم أنه هو مشورة الآب وهذه المـــشورة متناغمة أيضا مع تدبير تجسده . وبقوله إنه قبل ما يبدو صواباً فى عينى أبيه – قبله كوصية – فإذ هو بالطبيعة الله ، لا يجعل نفسه بهذا القول أقل من الآب ، بل يشير إلى ما يناسب اشتراكه فى طبيعة البشر وهو يذكرنا بأنه نفسه النبى الذى قال عنه الآب " سوف يـــتكلم بحسب ما أوصيه " (تث ١٨ : ١٨ س) متحدثاً عن المشورة المشتركة للآب والابن معـــا كما قبلت الوصيه . والرب يتكلم بهذا لليهود لئلا يظنوا أنه يقول أشياء مضادة لوصـــايا الآب . وإن كان الآب قد دعا إبنه الذى له نفس الجوهر نبياً ، فلا تضطرب ، لأنه حينما صار إنسان ، فحينئذ صار لقب النبى مناسب له. وعندئذ يمكـــن أن نقـــول إن الوصـــايا

١- شرح إنجيل يوحنا للقديس كيرلس الأسكندرى – الجزء الثانى – ترجمه عن الأنجليزية دكتور جرجس كامل يوسف – مركز دراسات الاباء ١٩٩٥ ص٤٥،٤٤ .

أعطيت له من الآب تدبيرياً (أى ما يناسب الطبيعة البشرية) ولكن ذلك الذى يقبل وصايا لا يكون لهذا السبب غير مماثل فى الجوهر أو الطبيعة لذلك الذى يعطى الوصايا . إذ أن البشر يعطون وصايا للبشر أمثالهم ، والملائكة للملائكة ، ونحن لا نقول فى هذه الحالة أن الذين أعطيت لهم الوصايا مختلفون فى الطبيعة ولا هم أقل . وعلى ذلك فالابن ليس أقل من الآب رغم أنه صار انساناً لكى يصير نموذجاً لكل فضيله لأجلنا . وبهذا أيضاً فهو يعلمنا أنه ينبغى أن نطيع والدينا فى كل شئ رغم أننا مساوون لهم من جهة طبيعتنا . ورغم أنه قال أيضاً أبى أعظم منى ، فهذا ليس ضداً لما قبله . لأنه إذ هو بالطبيعة إله فهو مساو للآب ولكن من جهة أنه صار إنساناً ووضع نفسه فهو يتكلم بكلمات تناسب إنسانيته تدبيرياً (المرجع السابق ص ١٤٠ – ١٤٢).

وفى تعليقه على قول السيد المسيح "الأعمال التى أعملها باسم أبى تشهد لى " يقول القديس كيرلس :

إن طبيعة كل واحد ينبغى أن تقيم من نوع أعماله ، وينبغى أن لا ننظر بأى حال إلى كلماته فقط . وهو نفسه (أى السيد المسيح) يقول أنه يتمم أعماله باسم أبيه وهو لا يستمد قوته من فوق بالطريقة التى تحدث مع أى قديس ولا يقول عن نفسه أنه محتاج إلى قوة ، إذ هو الإله من الإله وهو من نفس الجوهر مع الآب وهو قوة الآب . ولكن إذ هو ينسب قوة أعماله إلى المجد ، فإنه يقول إنه يعمل بإسم أبيه . وهو أيضاً يعطى الكرامة للآب . لكى لا يسمح لليهود بأن يجدوا حجة للهجوم عليه . وإضافة إلى ذلك فهو أيضاً فكر أنه من المناسب ألا يتجاوز حدود " صورة العبد " رغم أنه هو الله وهو الرب . وبقوله أنه يعمل أعماله باسم أبيه فهو يعلم بأن اليهود جدفوا حينما قالوا إنه طرد الشياطين بواسطة بعلزبول (أنظر لو ١١ : ١٥) وحيث ان الآب يعمل الأعمال العجيبة ليس بسبب كونه أباً بل بسبب إنه إله بطبيعته ، هكذا الإبن فهو ليس بسبب كونه ابنا بل كإله من إله ، يستطيع هو نفسه أن يعمل أعمال الآب : لذلك قال تدبيرياً إنه يعمل أعماله باسم أبيه (المرجع السابق ص١٤٨).

وفى تفسيره للإصحاح الثامن من الإنجيل للقديس يوحنا ، يتساءل القديس كيرلس : هل الابن حصل على القوة والفهم من الآب لكى يستطيع أن يعمل شيئاً وأن يتكلم بلا لوم ؟ وكيف يكون بعد ذلك إلهاً بالطبيعة ذلك الذى يستعير القوة والحكمة من آخر ، كما هو الحال فى الطبائع المخلوقة ؟ لأن تلك الكائنات التى من عدم الوجود تحصل على الوجود فكل شئ يختص بها هو أيضاً يعطى لها من الله بالتأكيد . ولكن الأمر ليس هكذا بالنسبة

للإبن . لأنه كما أن عدم الفساد وعدم الموت ينبغي بالتأكيد أن يكون له بالطبيعة وليس من خارجه ولا أن يضاف إليه ، هكذا يكون أيضاً الكمال الكلي وعدم النقص في كل الصالحات .ولو أن الإبن ناقص من جهه قدرته أن يعمل الأمور الإلهية وأن يتكلم بما هو صواب ، وفى نفس الوقت هو قوة الآب وحكمة الآب بحسب الكتاب الإلهى فمثل هذا الإتمام الخطير سيكون بالأحرى موجها ليس للإبن بل للآب . فالآب لن يعود كاملاً فيما بعد فى القوة كما أنه لن يكون كاملاً فى الحكمة .

ويتساءل القديس كيرلس متعجباً: كيف يهب الله قوة لقوته الذاتية ، أو كيف يجعل حكمته الذاتية أكثر حكمة ؟ وكيف يدعى الإبن بعد ذلك رب القوات (مز ٢٤) ، أو كيف يدرك بعد ذلك على أنه الحكمة والقوة ، إن كان بحسب رأيكم – ينال حكمة من آخر .فالإبن له خصائص الألوهية بدرجة كاملة . وهو حكيم ليس بواسطة التعلم . وفي قوته التى ندركها حقاً لا نرى قوة تضاف إليه من خارجه إنه فى كل شئ مساو للذى ولده وهو ليس أقل منه بأية طريقة وبأى حال . والذين يحطون من قدر رسم (صورة) الله الآب ، فهم لا يفهمونه هو نفسه بقدر ما يتهمون الآب الذى الابن هو رسم له ، حيث إن الآب يكون على حسب ما يرى فى الإبن .

وعندما يقول الإبن :أنا لا أفعل شيئاً من نفسى ، فهو هنا لا يلوم طبيعته الخاصة كأنها ضعيفة . فلنفترض أن هناك إنسانين لهما نفس الطبيعة ، متساويين فى القوة ، ولهما فكر واحد أحدهما مع الآخر ، فلو قال أحدهما : أنا لا أفعل شيئاً من نفسى ، فهل سيقول هذا كأنه ضعيف ولا يستطيع أن يفعل شيئاً بالمرة من نفسه ، أم أنه يقول هذا لأن الإنسان الآخر هو فى إتفاق معه وله فكر واحد معه ومتحد معه ؟ فهكذا يجب أن نفهم عن الإبن . فحيث إنه هو حكمة الله ومشورته الحية فهو يعترف أنه لا يفعل شيئا أخر غير ما يريده الآب إذ هو حكمته ومشورته . وكما أن الفهم الذى فينا لا يحسب أنه شئ أخر غيرنا نحن أنفسنا ، فبنفس الطريقة ، فإن حكمة الله أى الإبن ليس مختلفاً عن الآب من جهة وحدة الجوهر والتطابق الدقيق للطبيعة ، لأن الآب أب والإبن إبن فى نفس الكيان

(شرح إنجيل يوحنا للقديس كيرلس الأسكندرى – الأصحاح الثامن – للدكتور موريس تاوضروس والدكتور نصحىعبد الشهيد ٢٠٠٠ ص ٧٦ ،٧٧) .

وللتوضيح يقدم القديس كيرلس مثلاً آخر من عالم الإنسان ، فيتساءل:

من الذى يعلم الطفل المولود ولو حديثاً أن يستعمل الصوت البشري (الكلام) ؟ لماذا لا يزأر مثل أسد أو يقلد بعض المخلوقات الأخرى غير العاقلة ؟ لكن الطبيعة إذ تشكل الجنين

حسب خاصية الزارع (الآب) وهكذا بالضرورة سوف ينمو حتى يصل إلى الصوت المشترك (المفهوم) الذى نستخدمه جميعاً . إذن فمن الممكن بدون تعلم أن يتعلم من الطبيعة التى تسكب كل خاصية الزارع فى الجنين .

هكذا يؤكد الإبن الوحيد نفسه أنه يتعلم من الآب ، لأن ما تمثله الطبيعة بالنسبة لنا ، فبالتأكيد تماماً يكون الله الآب بالنسبة للإبن . وحيث إننا بشر ومن بشر بدون تعلم نتعلم من الطبيعة ونتكلم كما يناسب البشر ، هكذا الإبن أيضاً ، حيث إنه إله من إله بالطبيعة ، تعلم من طبيعته الخاصة أن يتكلم كإله وأن يقول شيئاً إلهيا مثل " أنا هو نور العالم " .

لأن ما يعرفه عن نفسه أنه هو (نور) ، بسبب أنه من الآب (أى نور من نور) ، فهذا ما قال عنه إنه تعلمه من الآب ، إذ له نوع من التعلم بدون تعلم للأعمال والكلمات الإلهية ، من الطبيعة الخاصة لذلك الذي ولده ، صاعداً مع الله الآب كما بقوانين ضرورية للتماثل فى كل شئ فى الإرادة والكلام .

لأنه بلا شك فإن التماثل فى الإرادة والتساوى والمشابه فى الكلمات توجد بالضرورة فى أولئك الذين لهم نفس الطبيعة .

نحن نتكلم عن الله بصفة مطلقة وليس عن أنفسنا . فالفوارق فى الأخلاق والاختلافات فى المشيئات وطغيان الشهوات تجذبنا بعيداً عن حدود ما هو لائق . أما بالطبيعة الإلهية الفائقة الإدراك إذ هى ، هى نفسها على الدوام ، وثابته بدون تزعزع فى صلاحها الخاص ، فلا يمكن أن يوجد فيها ايه إختلافات. وكيف لا تتقدم فى مسارها المستقيم نحو غرضها الخاص وتتكلم وتحقق ماهو خاص بها . إذن فالابن الوحيد لأنه هو من نفس الجوهر مع الذى ولده وهو يتفوق (على البشر) فى كرامات اللاهوت الواحد، فإنه بالتأكيدوبالضرورة سوف يعمل ما يعمله الآب نفسه أيضاً ، لأنه هذا هو معنى أن لا يعمل من نفسة شيئاً . وبالتأكيد سيتكلم بما يخص ذاك الذى ولده لا كخادم ولا كمأمور ولا كتلميذ ، بل إذ له ثمرة طبيعته نفسها (التى للآب) فإنه يملك أن يستخدم كلمات الله الآب أيضاً . لأنه هنا يظهر بكل وضوح وبعيداً عن كل لوم : أن ليس شيئا مما يقوله هو من عنده .

(نفس المرجع ص ٧٨ ، ٧٩)

صلاح المسيح بالطبيعة:

إن الرب يسوع هو صالح بالطبيعة ، ورغم أنه صار إنساناً بسبب محبتة للبشر ، فقد ظل على ما هو عليه حسب الطبيعة ، أى إلها . ويقول القديس كيرلس :

نحن لا نندفع إلى أفكار متهورة فنظن أن الإبن يظهر أى فضيلة كأنها صادرة عن تفضيل ([illegible] بالحرى هو ثمرة الطبيعة التى لا تعرف التحول والتى لا تحتاج

شئ من [illegible] بل [illegible]
إلى عون إلهى فى المشورة لكى تفعل أى شئ . لأنه بالنسبة إلى المخلوقات إذ هى يمكن أن تتحول إلى الأسوأ ، وتتغير مما هو أفضل إلى ماهو أسوأ ، فإن الصلاح فيها يكون ثمرة إتجاه نحو التقوى والفضيلة .

وأما بالنسبة إلى الطبيعة الإلهية التى هى فوق الكل ، فليس الأمر هكذا . لأنه حيث إن كل تغير وتحول ليس له مكان فيها ، فإن الصلاح هنا يكون ثمرة الطبيعة التى لا تقبل التغير ، وذلك مثل الحرارة بالنسبة للنار والبرودة بالنسبة للثلج . لأنه من الواضح أن النار لها فعلها الخاص بها وهو ليس إرادياً بل طبيعيا وجوهرياً ، وهى لا يمكن أن تكون غير ذلك إلا إذا أبعدت عنها بأمر صانعها . لذلك فالإبن ليس مثلنا أو مثل أى واحد من الخليقة العاقلة التى تحكمها الإرادة والحرية للسعى نحو عمل يرضى الله الآب . فالأبن الوحيد لا يقول مثل هذا ، ولكنةيتبع قوانين طبيعتة الخاصة ، ولا يفكر أو يعمل شيئا إلا بحسب مشيئة ذاك الذى ولده . لأنه كيف يستطيع اللاهوت الواحد الذى له نفس الجوهر أن يكون مختلفاً على الإطلاق مع نفسه ؟

أو كيف يمكن أن يعمل ما لا يريده وكأن هناك من له سلطان أن يحوله إلى إتجاه آخر ؟ لأنه رغم أن الله الآب كائن بذاته وبنفسه ، وبالمثل أيضاً الإبن والروح إلا أن الثالوث القدوس الواحد فى الجوهر لا يتمزق ويصير إلى انفصال كامل بل ملء الثالوث الكلى هو فى طبيعة واحدة للاهوت (نفس المرجع ص ٨٣ ، ٨٤) .

وعندما قال الرب (من منكم يبكتنى على خطية) فالسؤال ليس سؤال من ينتظر التأنيب ، بل بالحرى هو سؤال من يستبعد وينكر تماماً أى إحتمال أن الإله نفسه الذى أشرق من الله يمكن أن يسقط فى خطية ، لأن المسيح لم يفعل خطية. فكل خطية إنما تنشأ من التحول عن الأفضل إلى ما ليس كذلك ، وهى تحدث فى أولئك الذين من طبيعتهم أن يتحولوا وان يتقبلوا التغيير الى ما لا ينبغى أن يكون ، لأنه كيف يمكن أن يفهم أن الذى لا يعرف أى تحول يمكن أن يخطئ ، بل بالحرى هو ثابت فى صلاحه المغروس فيه ، وهذا الصلاح ليس من شخص آخر غيره بل من إرادته ؟ (نفس المرجع) .

٤- الروح القدس وألوهيته :

يقول القديس كيرلس :

حيث ان البعض لهم جسارة كاذبة ويتهورون بالكلام ضد الإبن والروح القدس أيضاً ، مدعين أنه مخلوق وأنه ليس من جوهر الله الآب ذاته ، دعونا نحشد كلمه الحق ضد ما يصدر من ألسنتهم الهوجاء . لأنه إن كان روحه الخاص ليس بالطبيعة هو الله ، وليس من الله ، وبذلك يكون غير موجود فيه جوهرياً ، بل هو مختلف عنه ، وهو غير بعيد عن مشاركة المخلوقات فى الطبيعة ، فكيف يقال عنا نحن الذين نولد بواسطته ، أننا مولودون من الله ؟

وإما أن يكون الإنجيلى كاذباً (وهو ليس كذلك) وإما أن يكون صادقاً وبذلك يصبح الروح القدس هو الله ومن الله بالطبيعة ، ونصبح نحن مستحقين ، بالإيمان بالمسيح ، للإشتراك فى الطبيعة الإلهية (٢بط ١ : ٤) ومولودين من الله ، ومدعوين الهه ، وليس بالنعمة وحدها نطير إلى المجد الذى فوق طبيعتنا ، بل الآن لنا سكنى الله وإقامته فينا ، حسبما قيل بالنبى " سأسكن فيهم وأسير معهم " (لاويين ٢٦ : ١٢ – ٢ كو ٦ : ١٦) . وعلى المقاومين لنا الذين إمتلاءوا من عدم المعرفة أن يخبرونا كيف يسكن الروح القدس فينا ، وهو ما يجعل الرسول بولس يدعونا هيكل الله ، إن لم يكن هو الله بالطبيعة . وإذا كان الروح القدس مخلوقاً ، فكيف قيل إن الله يهلك من ينجس هيكل الله (١ كو ٣ : ١٧) أى عندما يتدنس الجسد الذى يسكن فيه الروح القدس ، والذى بسبب سكناه ، ننال كل ما يخص الله الآب بالطبيعة وما يخص بالمثل إبنه الوحيد .

وكيف يصبح المخلص صادقاً فى قوله " إن أحبنى أحد يحفظ كلامى وابى يحبه وإليه نأتى وعنده نصنع منزلاً (يو ١٣ : ٢٣) ونستريح فيه " أليس الروح القدس هو الذى يسكن فينا ونحن نؤمن أنه به يكون لنا الآب والإبن – كما قال يوحنا أيضاً فى رسائله . بذلك نعرف أننا نسكن فيه وهو فينا ، لأنه أعطانا من روحه (١ يو ٤ : ١٣) . وكيف يدعى الروح القدس روح الله إذا لم يكن منه وفيه بالطبيعة ؟ ولذلك فهو الله . ولو كان كما يدعون مخلوقاً وهو روح الله ، ليس ما يمنع الخلائق الأخرى من أن تدعى أرواح الله ، فهذا يصبح ممكناً بالنسبة لهم نظراً للمساوة التى بينهم وبين الروح القدس .[1]

وفى مواضع أخرى يقول القديس كيرلس :

---

[1]- شرح انجيل يوحنا للقديس كيرلس الأسكندرية ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

+لأنه بسبب وحدة الجوهر فالروح موجود فى الابن ، كما هو فى الآب أيضاً (شرح إنجيل يوحنا – الكتاب الأول – ص ١٧٠).

+ الإبن له الروح بحسب وحدة الجوهر (المرجع السابق ص ١٧١).

+ كيف يمكن أن نفصل الروح القدس عن الإبن الذى هو معه ومتحد به فى الجوهر الواحد وموجود فيه بالطبيعة ولا يمكن أن يكون مختلفاً عنه لأنه أقنوم مثله له ذات الطبيعة الإلهية التى للإبن (المرجع السابق ص ١٧٢).

+ هاهو يقول عن الروح القدس " روح الحق " والإبن وحده وليس غيره هو الحق . وإذ كان الإبن بالطبيعة يدعى الحق فعلينا أن نرى كم هى عظيمة الوحدة التى بينه وبين الروح القدس (نفس المرجع ص ١٧٢).

+ ولذلك السبب نفسه (أى ألوهية الروح القدس) ، إذ يحل الروح فى إنساننا الداخلى ، يقال إن المسيح نفسه هو الذى يحل فينا " (نفس المرجع ص ١٧٢) .

الروح لم يظهر مطلقاً لأنه الله وإحتفظ بطبيعته الإلهية غير الظاهرة ، وظهر فقط بشكل حمامة (نفس المرجع ١٧٢) .

+ لأن الروح القدس ينبثق حقاً من الله الآب ولكنه خاص بالإبن أيضاً ، وكثيراً ما يدعى روح المسيح رغم أنه منبثق من الآب . لذل فالروح القدس ينبثق حقاً من الله الآب كما قلت ، ولكن كلمته الوحيد ، لكونه بالطبيعة هو الإبن حقاً وهو يلمع بأمجاد الآب ، فإنه يعطيه (الروح القدس) للخليقة ، ويمنحه لأولئك الذين يستحقون (تفسير إنجيل لوقا – الجزء الأول – ص ٧٣ ، ٧٤).

+من يقول إن الرب الواحد يسوع المسيح قد تمجد من الروح ، وأن الرب كان يستخدم القوة التى من الروح كما لو كانت خاصة بقوة غريبة عنه ، ويقول أن الرب قبل من الروح القوة للعمل ضد الأرواح النجسة ويتمم العجائب بين الناس ، ولا يقول بالحرى أن الروح خاص ، والذى به عمل المعجزات، فليكن محروماً (رسائل القديس كيرلس إلى نسطور ويوحنا الأنطاكى – ص٣٨) .

الموضوع الثانى : التجسد

١-التجسد والإخلاء

يقول القديس كيرلس :

إن الله الكلمه بطبيعته كامل من كل الوجوه. ومن ملئه يوزع عطاياه للخلائق. ونحن نقـــول عنه أنه أفرغ ذاته دون أن يمس هذا بطبيعته، لأنه عندما أفرغ ذاته لم يـــتغير إلى طبيعة أخرى،

و لم يصبح أقل مما كان عليه لأنه لم ينقص شيئاً. هو غير متغير مثل الـــذى ولـــده (الآب) ومثلــــه تماماً غير عرضه للأهواء. ولكن عندما صار جسداً أى إنـــساناً، جعـــل فقـــر الطبيعة الإنسانية فقره ولذا قال "سأسكب من روحى على كل جسد" (يوئيـــل ٢:٢٨) ولقد تم هذا:

أولاً :لأنه صار إنساناً رغم أنه ظل الله

ثانياً: أخذ صورة العبد، وهو بطبيعته حر كإبن، وفى نفس الوقت هـــو نفـــسه رب المجـــد ، ولكن قيل أنه تمجد لأجلنا. هو نفسه الحياة ولكن قيل أنه أحيى أى أقيم مـــن الأموات . وأعـــطـــى سلطاناً على كل شئ و هو نفسه مالك كل الأشـــياء مـــع الله الآب. أطاع ألآب وتألم وما إليه...هذه الأشياء تخص الطبيعة البشرية ، و لكنه جعلها له (أى تخصه) عندما تجسد لكى يكمل التدبيـــــــر ويبقى كما هو . وهذا مـــا تقـــصده الأسفار المقدسة بإفراغ الذات .

(د. جورج بباوى: تجسد الإبن الوحيد للقديس كيرلس الإســكندرى ١٩٧٥ـــــ ص ١٥،١٦)

ويشرح القديس كيرلس أيضاً مفهوم الإخلاء فى كتابه المسيح واحد ، فيقول:

الإخلاء هو أن الذى فى صورة الله صار فى شبهنا والذى هو فوق الكل وضع نفـــسه وأطاع حتى الموت وأخلى ذاته تدبيرياً حسب ما يتطلبه وضع الجسد . ولكنه ظل الإلـــه الذى لايحتاج إلى النعمة التى يحتاج إليها كل مخلوق. ولهذا السبب قال لـــلآب الـــذى فى السماء " مجدنى بالمجد الذىكان لى عندك قبل كون العالم" (يو ١٧:٥) . ولست اعتقـــد بأنهم سيتجاسرون على القول بأن الـــذى كان يطلب هذا هو الإنسان المولود من نـــسل داود، أو أنه كان يطلب المجد الذى كان له قبل خـــلق العالم. لايقدر الإنسان المنفصل عن الكلمة أن يطلب المجد،لأن هذا المجد لايخص طبيعة ذاك الذى ولد فى الزمـــان وفى اخـــر

الدهور من نسل داود . ولكن المسيح الواحد هو الذى كان يطلب مجده ، لأنه أخلى ذاته تجسد وصار إنساناً مثلنا فى كل ما يخص الناسوت دون أن يفقد البهاء والكرامة الإلهيـــة الخاصة به، والتى للآب أيضاً. وكل ما ذكرناه يكون صحيحاً فى حالة واحدة فقط وهى إيماننا بإخلاء الإبن . لذلك حتى لانقع فى الجرم الذى يحذرنا منه المزمور " لايكـــــــــن لك إله جديد فى وسطك" (مز ٨١:٩س). وإذا كان حسب إعتقادهم أن إنساناً هو الذى أخذ الإسم الذى هو فوق كل إسم أى أن إنساناً صار إلهاً بسبب الشركة والصلة بالكلمة وأنه يجلس على عرش الآب شريكاً له فى الكرامة الالهية، فهذا ليس إلا إلهاً جديداً ووثنية (د. جورج بباوى: المسيح واحد للقديس كيرلس الإسكندرى ١٩٨٧ ص ٦١).

وأيضاً فى كتابه "حوار عن الثالوث" يشرح القديس كيرلس مفهوم الإخلاء فيقول :

تجسد وصار مثلنا، عند ذلك فقط حُسب ضمن إخوة كثيرين ودُعى البكـــر. مـــتى حدث الإخلاء؟

عندما ولد البكر من العذراء والذى هو فى نفس الوقت الإبن الوحيد من الآب، فصار فى عداد البشر كإنسان وهو الذى فوق الكل. ومتى حُسب فقيراً وهو الغنى؟ عنـــدما أخـــذ الرب ما هو غريب عنه أى الجسد فصار فقيراً عندما صار فى الجسد.

(المرجع السابق، ص ٦٠- هامش).

* إذا كان الجسد قد أضيف إليه (إلى الكلمة) لأنه من طبيعة غير طبيعته، فالكلام عن المجئ فى الجسد يستقيم، ويعنى أن الكلمة جاء فعلا إلى العالم ليخلص العالم وظل بدون تغـــيير كما كان منذ الأزل، مع أنه تجسد وصار إنساناً. وبسبب الإتحاد نرى أنه لايوجد ما يمنعنا من الإعتقاد بأن كل شئ قد خلق بواسطته، لأننا نؤمن أنه الله الكائن منـــذ الأزل مـــع الآب،لأن الله الكلمة لم يتغير عندما أخذ جسداً ذا نفس عاقلة. **هذا واضح من كـــلام الرسول الذى يتعارض مع تعليم المعاندين الذين يغيرون الإيمان مدعين بـــأن الكلمـــة إتصل بإنسان** . لكن الكلمة تجسد فعلا، وهذا ما يجعل الكلام عن مـــسحته فى الأردن ذا مضمون حقيقى ، وهو أيضاً ما يجعلنا ندعوه يسوع **لأنه حقا تجسد وولد جسدياً مـــن إمرأة** ، وهو ما يجعله يخلص شعبه من خطاياهم ". **كل هذا يجعـــلنا نـــرى أنه لاصحة للتعليم القائل بأن الله حل فى إنسان أو أنه أتصل به** ، وإنما الكلمة تجسد وصار فى هيئة البشر الخطاة لكى يتحدد الجنس البشرى فيه هو أولاً ــ ويعود إلى ما كان عليـــه سابقاً ويتم القول "الكل صار جديداً" ٢كو ٥:١٧ (المرجع السابق ص ٦٣).

* حقاً إن طبيعة الله الكلمة مملوءة بالمجد الحقيقي والملوكي والربوبية ، ولكن عندما تجسد وصار إنساناً صار فقر الإنسانية فقره .... والمسيح حقاً هو سر عجيب مدهش في صورة العبد بمجد الربوبية ، وفي الكيان الإنساني نجد مجد اللاهوت . والذي تحت النير حسب مقاييس الناسوت ، هو في الوقت يلبس إكليل اللاهوت الملوكي .
والفائق الذي يعلو على كل الأشياء هو في عمق الإتضاع . كل هذا يشرحه الحق الواضح وهو أن الإبن الوحيد تأنس ولكن لم يبق دائماً في حالة الإخلاء ، بل ليأخذ الذي لنا ونعرفه أنه الإله المتجسد ، ويمكننا بعد ذلك نحن البشر أن نشترك في كرامته الإلهية الفائقة (المرجع السابق ص ٧٢) .
*كيف نفهم قول الرسول بولس : "الذي في أيام جسده قدم صلوات وتضرعات بصراخ شديد ودموع للقادر أن يخلصة من الموت ، وسمع له من أجل تقواه ، ورغم أنه الإبن تعلم الطاعة من الأشياء التي تألم منها ، وكمل ، فصار مصدر خلاص ثابت لكل الذين يطيعونه "(عب ٧:٥-٩) وبالمثل ، كيف نفهم قول المسيح على الصليب : إلهي إلهي لماذا تركتني (مت٢٧: ٤٦) .
ويجيب القديس كيرلس على ذلك فيقول :
هذه النصوص لاتنطبق على الله الكلمة الذي هو من الله الاب قبل التدبير . وإذا لم نعترف بأنه قد تجسد حسب ما تعلم به الكتب لايمكن أن نقبل هذة النصوص على أنها خاصة بلاهوت الكلمة ، ولكن حيث إننا نؤمن بثبات وبدون شك أن التجسد حقيقة ، كل من لايقبلها هو خال من التقوى . علينا أن نقترب على قدر إستطاعتنا من عمق التدبير . الكلمة الذي من الله الاب ظهر في شكلنا لكي يعين بشكل فائق حالتنا التي وصلنا إليها نحن البشر ، ولكي يؤسس الطريق الذي يقودنا إلى ما هو فائق ومجيد ، وكان من الضروري أن نتعلم نحن الذين في ضيقة بسبب محبتنا لله كيف نواجه التجارب عندما تهاجمنا وكيف نتصرف نحن الذين قبلنا أن نعيش حياة جديدة وتحولنا إلى هذا الأسلوب الفائق . هل نعيش حياة التكاسل أم نهتم بالصلاة ونغتسل بالدموع ونعطش إلى المعرفة التي تأتي منه في الوقت الذي تهاجمنا فيه الشدائد ،وكان من الضروري أن نعرف ما هي فائدة الألم والجائزة التي ننالها . لذلك صار المسيح مثالاً لنا " لأن المسيح مات عنا وترك لنا مثالاً لكي نتبع خطواته " (١ بط ٢ : ٢١) . ولأن الكلمة لم يكن بلا جسد ، بل إشترك في كل ما يخصنا وأخلى ذاته فصار في أيام جسده مثالا لنا . وما هو الخطأ إذا تصرف حسب المقاييس الإنسانية مثل إطالة الصلاة وسكب الدموع واحتاج إلى المعونة بل إلى أن يتعلم

الطاعة رغم كونه الإبن . لقد تنازل إلى حالتنا ليقبل فقر طبيعتنا ولذلك صار مثالآ . أما بالنسبة لعبارة " إلهى إلهى لماذا تركتنى "فهى كلمات من انسحق من الحزن والتعب وهو

[illegible]

يواجة الشدة والمحنة . تأمل الكلمات الخاصة بالإخلاء والتى تتفق مع الناسوت ،كيف سجلت هذه الأقوال فى وقتها المناسب لكى تعلن أن الذى هو فوق كل الخليقة صار مثلنا فى كل شئ . وإذا اعتبرنا أن الإبن الوحيد تأنس ، فهذا الإعتبار هو الذى يجعلنا نفهم لماذا صدرت عنه هذه الكلمات لأنه صار كواحد منا ونائب عن كل الإنسانية فقال هذه الكلمة لأن الإنسان الأول تعدى وسقط فى عدم الطاعة و لم يسمع الوصية التى أعطيت له ، ولكن الإبن صار البداية الجديدة على الأرض ودعى ادم الثانى ، وكأن الإبن الوحيد يقول : أنت ترى فى أنا الجنس البشرى وقد وصل إلى عدم الخطأ وقدوس وطاهر " فاعطه الان البشارة المفرحة الخاصة بتعطفك وأزل تخيلك . هذه هى معانى كلمات المخلص التى كان يستدعى بها تعطفه(الاب) ، ليس علية هو ، بل على الجنس البشرى الذى يمثله ، لأن ثمار المعصية مرت من ادم الجذر والأصل إلى كل الطبيعة الإنسانية ، فالموت ملك من ادم إلى موسى (رو ٥:١٤) ، وهكذا ثمار الباكورة الجديدة ،المسيح ، تصل منه هو الأصل أو الجذر إلى كل الجنس البشرى (رو ٥ :١٥) - (المرجع السابق ص ٧٣ : ٧٨)

* لقد كان خطأ نسطور وأتباعة أنهم يقسمون ويفصلون الكلمات و الحقائق وينسبون بعضها فقط إلى الإبن الوحيد ، والآخر إلى إبن ليس هو الإبن الوحيد ، بل إلى إبن ولد من إمرأة . علينا أن لانقسم الواحد إلى شخصين و أقنومين ، كل منهما منفصل عن الاخر . ولكن حيث ان الإبن الواحد الكلمة تجسد لأجلنا - فكل الكلام والحقائق تخصه لاهوتياً وإنسانياً بعد أن تجسد وتأنس وأخلى ذاته فما هو الضرر الذى يقع عليه ان نسبنا إليه أفعال الطبيعة البشرية (ما عدا الخطية) ، لأننا نقول ان جسده خاص به وأيضاً ضعف هذا الجسد يتفق مع التدبير الذى اقتضاه الإخلاء ، لأنه صار مثل إخوته فى كل شئ ما خلا الخطية (عب ٢ : ١٧) . ولا تتعجب إذا قلنا انه جعل ضعف الجسد ضعفه عندما قبل أن يتجسد ، ولكن – لأنه لم ينقسم – فهو بعينه ، الإبن الوحيد الحق و صورة الله غير المنظور – وبهاء مجد أقنوم الآب وختم جوهره هو الذى أخذ صورة العبد ، ليس كمن اتصل بها – بل هو نفسة تجسد و اتخذ هذة الصورة وظل كما هو مساو لله الآب . وهذا يخبرنا به بولس الحكيم " الله .... هو الذى أشرق فى قلوبنا نور معرفة مجده فى وجه (شخص) يسوع المسيح " ٢ . كو ٤ :٦) . وعلينا أن نفهم كيف فى شخص المسيح ظهر المجد الإلهى غير المنطوق به .لأن الإبن الوحيد المتجسد يعلن فى شخصه مجد الاب

الإلهى غير المدرك . إننا لانستطيع أن نرى الله فى صورة إنسان بل فى الكلمة الذى تجسد وصار إنساناً مثلنا ، وفى نفس الوقت ظل الإبن الحقيقى (المرجع السابق ص ٧٩ -٨١) .
والإنجيلى الحكيم قال أولاً أن الكلمة صار جسداً ، مؤكداً أن جسده سوف ينمو وفق قوانين الجسد ، لأنه ينتمى إلى الإنسانية و لذلك يتقدم فى القامة والحكمة وأيضاً النعمة .
كل هذه الأمور تسير معاً عندما ينمو الجسد فى القامة حسب مقاييس الطبيعة الإنسانية وسمح تدبيرياً أن تنطبق عليه مقاييس الطبيعة الإنسانية ، وأن يتقدم قليلاً إلى ما هو أعظم حسبما تستدعى مراحل العمر ، وأن تنمو القامة مع الإدراك فى إنسجام . والكلمة كامل فى كل شئ ولايحتاج إلى النمو و لا إلى الزيادة ، بل لقد وصل بهذه الكلمات لأنه جعل ما يخصنا يخصه هو ، لأنه صار مثلنا ، و لكننا نعرف أنه فوق الكل كإله . وحقاً يتجاسر بولس رغم معرفته بأنه قد صار جسداً ويقول ، و هو يتطلع إلى بهاء اللاهوت ، أنه ليس إنساناً فكتب إلى الذين فى غلاطية " بولس رسول ليس من الناس و لا بإنسان بل بيسوع المسيح " (غلا ١:١) ، والانجيل الذى كرزت به ، أنه ليس بإنسان ، لأنى لم أقبله من إنسان ولا علمته بل بإعلان يسوع المسيح " (غلا ١ : ١١ ، ١٢) (المرجع السابق ص ٨٢ ، ٨٣) .
و هكذا فإن القديس كيرلس لايجد نقصاً فى أن يوصف السيد المسيح بالتقدم فى القامة والحكمة و النعمة ، كما يوصف بالجوع والتعب و كل الصفات الأخرى مثل الألم وأن الآب أقامه ، ذلك لأننا نؤمن أن الناسوت يخصه تدبيرياً ، ومع الناسوت كل ما يخص الناسوت من صفات .
وفى كتابة " شرح تجسد الإبن الوحيد " يتحدث عن آلام السيد المسيح باعتبارها تخص التدبير ، فيقول :
الآلام تخص التدبير. والله الكلمة جعل ما يخص جسده يخصه هو نفسه بسبب الإتحاد الفائق الوصف . لكنه ظل فوق الآلام حسب مقتضى طبيعته لأن الله لايتألم . ولا غرابة فيما نقول ، لأن نفس الإنسان تظل فوق الآلام عندما يتألم جسدها . ونحن لانعتبر النفس بعيدة عن الآلام ،أو أن الآلام عندما تحدث للجسد لاتخص النفس .... لأن الجسد الذى يتألم هو جسدها . وعندما يتالم الجسد فالنفس المتحدة به وهى من طبيعة بسيطة لاتلمس ، لا تظل بعيدة عن الألم ، ليس غريباً عنها بالمرة (ص ٥١ ، ٥٢).
* إن الكلمة يعطى الجسد من صفاته ، حتى أننا يمكن أن نقول بسبب الاتحاد أنه (الجسد) نزل من السماء ، لأنه (الكلمة) عندما أتحد به جعله واحدآ معه. ولا حظ أنه عندما يذبح

العصفور الأول يغمس العصفور الثانى فى دم الأول دون أن يموت. مـــا معـــنى هــــذا؟ أن الكلمة حى وإن مات جسده، وبسبب الاتحاد اشترك هو فى الآلام لأن الجسد الذى تــألم

هو جسده هو،

* وهو الواحد بعينه، (فقبل هو نفسه الالام دون أن تتألم طبيعته) (ص٥٣) .

* مما يساعدنا على الفهم، أن نعرف الفرق بين التعبيرات المختلفة التى تستخدم عن المسيح الواحد ، وهـــى كلـــها لاتنـــطوى علـــى أى نوع من التجزئة بـــل تتحـــدث عـــن الواحد دون تقسيم ودون أن تشير إلى إبنين:

إننا نقول أن الله الكلمة ولد من إمرأة حسب الجسد، رغم أنه هو نفسه يعطى المـــيلاد لكل البشر ويدعو الأشياء التى لم تولد بعد، إلى ميلادها فى الوقت المعين. فكيف يولد من إمرأة ويخلق الأشياء فى ذات الوقت؟ هذا ما أعنيه من التعبيرات المختلفة التى تصف الواحد بعينه. فهو ولد عندما صار إنساناً مثلنا. وهو يدعو الأشياء التى لم توجد بعد إلى الوجـــود لأنه الله . وهكذا أيضاً مكتوب عنه " وكان الصبى ينمو ويتقوى مملـــوءا مـــن الحكمـــة والنعمة "(لو٤:٢). هو كامل كإله، ومن ملئه نحن أخذنا لأنه يمـــنح العطايـــا الروحيـــة للقديسين. فهو نفسه الحكمة و معطى النعمة. فكيف ينمو الصبى ، وكيـــــف يمتلـــئ مـــن الحكمة والنعمة ؟ هذه هى التعبيرات المختلفة التى تتحدث عن إله متأنس وتـــصفه بصفات إنسانية بسبب الإتحاد الكامل ، كما أنـــــه يوصف أيضاً بأنه معطـــى النعمـــة والحكمة كإله (ص٥٣،٥٤).

- وهو يدعى البكر ، والإبن الوحيد . وأيضا قيل عنه أنه تقدس بالروح، وأنه أيـــضا يقدس كل الذين يأتون إليه .
- إعتمد حسب الجسد ولكنه يعمد بالروح القدس كل الذين يأتون إليه .
- أقام الموتى ولكنه أقيم من الموت .
- هو الحياة بطبيعته ولكن أحيى .
- هو نفسه اشترك فى الصلاة معنا، إذ قال أنتم تسجدون لمن لاتعلمـــون ، ولكننـــا نسجد لمن نعلم. وهو عبد معنا لأنه أخذ الطبيعة التى تسجد، لكن إليه أيضا تقدم العبـــادة لأنه الله.

وعندما تحدث عن ميلاد مخلصنا فى الجسد، كتب فى تفـــسيره للإنجيـــل حـــسب القديس لوقا ، مايلى:

ربما يعترض أحد فيقول: إن الذى ولد الآن كان طفلآ، وكان ملفوفآ بأقماط ومضطجعآ فى مذود، فكيف نقول أن تسبحه القوات العلوية كإله؟ وردآ على هذا الاعتراض نقول بحسم: إن الله صار فى شكل منظور مثل شكلنا . رب الكل فى شكل عبد ، ومع ذلك فإن مجد الربوبية غير منفصل عنه. لذلك فحينما ترى الطفل ملفوفآ بالأقماط لاتركز فكرك على ميلاده فى الجسد فقط ،بل إرتفع إلى تأمل مجده الإلهى،إرتفع بعقلك عاليآ، أصعد إلى السماء، وهكذا سوف تنظره فى أعلى تمجيد، وهو صاحب المجد الفائق سوف تراه " جالسآ على عرش عال ومرتفع" (أش ٦:١) وسوف تسمع السيرافيم يمجدونه بتسابيح،ويقولون أن السماء والأرض مملوءتان من مجده، نعم حتى على الأرض حدث هذا ،لأن مجد الله أضاء على الرعاة.كثيرون قد ولدوا على مر الأزمنة ولكن لم يمجدوا واحدآ منهم بأصوات الملائكة. أما المسيح فلم يكن هكذا، لأنه إله ورب وهو مُرسل الأنبياء والقديسين. نحن بطبيعتنا عبيد أما المسيح فهو الإبن الحقيقى،أى أنه إبن الله الآب بالطبيعة حتى حينما صار جسدآ" لأنه إستمر على ما كان عليه منذ الأزل رغم أنه أخذ ما لم يكن له (الجسد). وأشعياء النبى يؤكد هذا عندما يقول:" ها العذراء تحبل وتلد إبنآ وتدعو إسمه عمانوئيل زُبدآ وعسلآ يأكل قبل أن يعرف أو يختار الشر

هو يفضل الخير. لأنه قبل أن يعرف الصبى أن يميز الخير والشر فهو لايطيع الشر بل يختار الخير (أش ٧:١٤- ١٦س) . أليس واضحآ للجميع أن الطفل حديث الولادة لايستطيع بسبب صغره وضعفه، أن يفهم أى شئ. وهو غير كفء بعد للتمييز بين الخير والشر ،لأنه لايعرف شيئاً على الإطلاق . أما فى حالة المسيح مخلصنا فقد أكل الزبد والعسل رغم أنه كان لايزال طفلاً . ولأنه كان إلها وصار جسداً بطريقة تفوق الفهم ، فإنه عرف الخير فقط ، وكان منزهاً عن الفساد الذى فى الشر . وهذه أيضاً صفة للجوهر الفائق ، لأن ما هو صالح بالطبيعة هوخاص به بثبات و بغير تغيير ، وهو خاص به وحده "ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله "لو (١٨ : ١٩) كما قال مخلصنا نفسه .

أتريد أن تعرف فضيلة أخرى لهذا الطفل ؟ أتريد أن تعرف أنه بالطبيعة إله ، ذلك الذى ولد فى الجسد من إمرأة ؟ أنظر ما يقوله أشعياء النبى عنه " فاقتربت إلى النبية فحبلت وولدت إبناً . فقال لى الرب : أدع إسمه "أسرع وأسر وأتلف بسرعة " (اش ٨ : ٣ – ٤) ، لأنه فى نفس توقيت ميلاد المسيح أتلفت قوة الشيطان. لأنه فى دمشق كان الشيطان موضوع الخدمة الدينية ، وكان له هناك عابدون ، ولكن حينما ولدت العذراء القديسة إنكسرت قوة طغيانه ، إذ أن الوثنيين أنجذبوا إلى معرفة الحق وكان باكورتهم وقادتهم

المجوس الذين جاءوا من المشرق إلى أورشليم ، الذين كان معلمهم هى السماء وأستاذهم هو النجم .

لذلك لاتنظر إلى المضطجع فى المذود على أنه مجرد طفل ، بل فى فقرنا أنظر ذاك الذى هو غنى كإله ، وفى مستوى بشريتنا أنظر ذاك الذى يفوق سكان السماء ، ولذلك فإنه يمجد من الملائكة القديسيين "المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وفى الناس المسرة " (ص٣٤- ٣٨).

وفى رسالته الأولى التى أرسلها القديس كيرلس إلى رهبان مصر ، كتب الاتى :

من هو هذا الذى " إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله ؟ أو بأية كيفية أخلى نفسه ؟ وكيف نزل إلى الإتضاع وفى صورة عبد ؟ . هناك البعض يقسمون الرب يسوع المسيح الواحد إلى إثنين :أى إلى إنسان وإلى الكلمة الذى من الله الاب ، وهم يقولون أن المولود من العذراء القديسة إحتمل الإخلاء . أنهم يفصلون بين الكلمة الذى من الله وبين المولود من العذراء . دعهم يبرهنون على أنه (أي الذى من العذراء) فى الشكل والمساواة يعتبر من الآب وذلك لكيما يحتمل كيفية الإخلاء . وهو الوضع الذى لم يكن مقيماً فيه .ولكن لايوجد مخلوق- إذا أعتبر بحسب طبيعته الخاصة-يكون مساوياً للآب ، فكيف إذن يقال عنه أنه قد أخلى نفسة ،إن كان هو إنساناً بحسب طبيعته ولد مثلنا من إمرأة ؟ أخبرنى عن طبيعة التفوق العالى الذى هو أعظم من الإنسان والذى نزل منه ليصير إنساناً ، أو كيف يمكن أن يعتبر أنه أتخذ صورة عبد لم تكن له من البداية ، وهو الذى بالطبيعة ينتمى إلى فئة العبيد ويخضع تحت نير العبودية .

ولكنهم يقولون أن ذلك الذى هو بالطبيعة وبالحقيقة الإبن الحر،الكلمة الذى من الله الآب، و هو فى صورة الذى ولده ومساو له، قد حل فى إنسان مولود من إمرأة، وأن هذا هو الإخلاء و حقيقة الإتضاع وإذلال النفس فى صورة عبد . وأكثر من ذلك هل يكون، يا أصدقائى الأعزاء الحلول وحده للكلمة الذى من الله فى إنسان، كافيا له لإخلاء نفسه؟ وهل هو سليم أن نقول إنه بذلك يكون قد لبس صورة عبد، وأن هذا يكون بالنسبة له هو كيفية إتضاعه رغم أنه يقول،كما أسمعه ، للرسل القديسين "إن أحبنى أحد يحفظ كلمتى، ويحبه ابى، وإليه نأتى ونصنع منزلا" . هل تسمعون كيف يقول إنه هو والله الأب سوف يصنعان منزلا فى أولئك الذين يحبونه؟ لذلك هل نوافق على أن الله الآب أخلى نفسه وأنه إحتمل إخلاء لنفسه مماثلا لإخلاء الإبن وأنه أخذ صورة عبد ، بسبب أنه يجعل النفوس المقدسة لأولئك الذين يحبونه منازل خاصة؟

وماذا عن الروح القدس الساكن فينا؟هل هو مكمل تدبير التأنس الذى نقول أنـــه تم بواسطة الإبن وحده لأجل خلاص الناس وحياقم؟ فلنبعد مثل هذا التطرف المتهور والذى بلا معنى بالمرة .

ثم يقول القديس كيرلس :

لذلك فالكلمة الذى كان فى صورة الله الآب ومساوياً له ، جعل نفسه فى حالة وضـــيعة حينما صار جسداً ، كما يقول يوحنا و ولد من إمرأة . و إذ كان له ميلاد عن الله الآب ، فانه أيضاً ولد مثلنا واحتمل ان يتألم من أجلنا (رسائل القديس كيرلـــس- ترجمـــة : دكتور موريس تاوضروس ودكتور نصحى عبد الشهيد – الجزء الثانى – مركز دراسات الاباء – ١٩٨٩ ص ١٤ – ١٦) .

٢- التجسد والطبيعة الواحدة :

* فى شرحه لقول الرسول يوحنا " والكلمة صار جسدا " يقول القديس كيرلس :

معنى هذه الكلمات لايزيد عن قوله " والكلمة صار إنسانا " . لأنه غالبا ما نسمى الإنسان كله "جسد" كما جاء فى النبى يؤئيل " سأسكب من روحى على كل جسد " (يؤئيل ٢ : ٢٨) ، ولأننا ندرك الكل عن طريق الجزء يسمى الإنسان جسدا ، ولا يوجد ما يدعو للإفترض أن تسمية الإنسان "جسد،، تعنى عدم وجودالنفس . عنـــدما قـــال الإنجيلـــى ''الكلمة صار جسدا ،،كان يقصد الجانب الذى تأثر أكثر من غيره فى الإنسان ، لكـــي نرى فى وقت واحد الجرح والدواء ، المريض و الطبيب ، ذاك الذى سقط تحـــت قبـــضة الموت والذى يقيم للحياة ، ذاك الذى ساد علية الفساد و الذى طرد الفساد ، ذاك الذى أمسك به الموت والذى هو اسمى من الموت ، ذاك الذى له عدم الحياة و ذاك الذى هـــو واهب الحياة .

و لم يقل الإنجيلى أن الكلمة جاء إلى الجسد مثلمـــا فعـــل فى القـــدم عنـــدما جـــاء إلى الأنبياءوالقديسين واشتركوا فيه ، وانما ما يعنيه الإنجيلى أنه صار جسدا ، أى صار إنسانا ، ولكنه هو الله بالطبيعة وهو فى الجسد ، وجعله جسده هو دون أن يفقد لاهوته . فهـــذا هو إعتقادنا لأننا نعبده وهو فى الجسد حسب ما هو مكتوب فى أشعياء " الرجـــال ذو و القامة سوف يأتون إليك ولك يكونون. سوف يأتون مقيدين بسلاسل وسوف يخـــرون أمامك ويتوسلون إليك ، لأن الله فيك ولا إله آخر سواك " ١ش ٤٥ :١٤ س) وها هو يقول إن الله فيه ، لأنه لا يفصل الكلمة عن الجسد ، وأيضا إنه لا يوجد إله آخر ســـواه ،

أى الذى إتحد بالجسد ، هيكلة الذى أخذه من العذراء ، لأنه مسيح واحد من إثنين . (شرح إنجيل يوحنا – الجزء الأول ص١٣٠ ، ١٣١).

* وفى كتابه " المسيح واحد " يقول القديس كيرلس :

+ الكلمة ، الإبن الوحيد الإله الذى ولد من الله الاب ، الذى هو " بهاء مجده ورسم جوهره (أقنومه) عب (١:٣) ، هو الذى صار جسدا دون أن يتحول إلى جسد ، أى بلا إمتزاج أو اختلاط أو أى شئ اخر من هذا القبيل ، بل " أخلى ذاته " وجاء إلى فقرنا ، فجعل جسد البشر جسده ، وبنفس إنسانية عاقلة ، وليس كما يقول البعض إنه جسد بلا نفس . ولد مثلنا دون أن يفقد ما يخصه . ولأنه أصلا إله ، قيل عنه أنه " فى شبة الناس " (فى ٢:٨) . فالله الذى ظهر فى شكلنا وصار فى صورة العبد هو الرب ، ولذلك نقول إن العذراء القديسة والدة الإله . (ص ٢١).

+كيف يمكن أن نشرح هذة الكلمات ' يشبه إخوته فى كل شئ (عب ٢:١٧) ، إلا إذا إعتقدنا أن له طبيعة مختلفة عن طبيعتنا ثم صار بعد ذلك مثلنا . فالذى يصير مثل اخرين هو أصلا وبدون تأكيد مختلف عنهم وله طبيعة مختلفة . فالإبن الوحيد له طبيعة مختلفة عن طبيعتنا ، ولذلك فقط قيل عنه أنه صار مثلنا أى صار إنسانا . وهذا حدث وتم بطريقة واحدة فقط عندما ولد من إمرأة مثلنا ، لأن الذى تجسد هو الله (ص ٣١ ، ٣٢) .

+يفسر الهراطقة سر التقوى بدون فهم لأنهم يقولون : ان الله الكلمة قد اتخذ ناسوتا كاملا من نسل ابراهيم وداود ، وهو لايختلف عن كل البشر الذين جاء هو من نسلهم . وولد من إمرأة تحت الناموس لكى يفتدى الذين تحت الناموس (غلا٤ : ٤، ٥). تمت بينه وبين لاهوت الإبن الكلمة مصاحبة . فأعده لكى يتألم – كما يتألم البشر – وأقامه من الأموات وأخذه معه إلى السموات وأجلسه عن يمين الله . وهو هناك الآن فوق كل رئاسة وسلطان وقوة وسيادة، وكل إسم يسمى ليس فى هذا الدهر فقط ، بل وفى الدهر الاتى أيضاً" (أف١:٢٠-٢٢). وهو يقبل العبادة التى تقدم له من كل الخليقة لأنه التصق بالطبيعة الإلهية ، بدون إفتراق ، ولذلك تقدم له الخليقة العبادة ولكن بطريقة غير مباشرة . ويقول الهراطقة أيضاً: لايوجد إبنان ولا ربان، بل حيث إن الله الكلمة والإبن الوحيد للاب اتصل به هذا الإنسان المولود من مريم ، صار هذا الإنسان يشترك فى الإسم وفى كرامة الإبن ، أما الله الكلمة فهو يشاركه فى كرامة الربوبية فقط ، ويؤكدون قائلين: لايوجد إبنان ولا ربان ، لأن الذى هو بالطبيعة الرب والإبن – من أجل خلاصنا – اتصل به إتصالاً ، لا إفتراق فيه ، أى أنه يحسب مع الإبن الوحيد فى إسم وكرامة البنوة والربوبية

ويرد القديس كيرلس على رأى هؤلاء الهراطقة فيقول :

* إنه إختراع مضاد للإيمان ومضاد للتعليم الإلهى المقدس الذى سلم إلينا مرة والذى نعترف به قائلين:نؤمن برب واحد يسوع المسيح إبن الله.الكلمة الذى من الآب الذى هو نفسه تجسد وهو نفسه إله وإنسان،وله وحده ما يخص الله وما يخص الإنسان.هو الكائن منذ الأزل لأنه الله الذى جاء وولد فى الزمان جسدياً من إمرأة، للواحد نفسه الأزلية و هو نفسه الذى فى اخر الزمن ولد حسب الجسد. وهو نفسه بالطبيعة قدوس كإله ، ولكنه تقدس معنا عندما صار إنسانا . واليه كإنسان يمكن أن ننسب التقديس . (ص٣٨).

* إن تعليم الهراطقة قد حول سر التدبيرأى التجسد إلى ما هوعكس التجسد تماما،لأننا لانرى الكلمة الذى بطبيعته الله، والذى ولد من الله الاب ، قد قبل الإخلاء وأخذ شكل العبد ووضع نفسه، بل نرى العكس وهو أن إنسانا قد ارتفع بواسطة المصاحبة إلى مجد الألوهية الفائق وأخذ مكانة الله وارتفع وجلس مع الآب فى الأعالى (ص٣٩).

* واذا قالوا "ليسا إبنين بل إبن واحد يجلس مع الآب" فمن هو ذاك؟هل هو الذى من نسل داود أم الواحد مع الآب فى الجوهر؟ هل هو المخلص أم مجرد مثال للإستعلاء والتعدى الإنسانى على المجد الإلهى ويبقى رغم كل ذلك مجرد إنسان به خلصنا؟ (ص٣٩).

* كيف يكون سر التقوى عظيما ومستحقا للإعجاب إذا كنا نؤمن بإدعاءات الهراطقة بأن إنسانا قد اتصل بشكل عارض (بطريقة غير جوهرية) بالله الكلمة ثم مات وقام وصعد إلى السموات. هذا ليس تعليما مسيحيا بل نوع من الخرافات اليونانية القديمة (أى تأليه أبطال الحروب والملوك). ولذلك إذا لم يكن الإبن هو الله المتحدبالناسوت بل حدث مجرد إتصال بين الكلمة وإنسان،ثم كافأ الإبن بعد ذلك هذاالإنسان الذى اتصل به وأعطاه عرش الألوهية حيث يقف لخدمته الملائكة ورؤساء الملائكة والساروفيم، وهؤلاء أعلى فى الرتبة من الإنسان الذى كافأه الإبن بعرش الألوهية، فهل يليق أن يقف هؤلاء لخدمته وهو ليس الإبن الإله الحقيقى، بل مجرد إنسان صار غنيا بسبب إسم البنوة الذى ناله واشترك فيه وهو أصلا ليس له بل هو مثلنا نحن الذين أخذنا نصيبا فى الكرامة الإلهية؟. إن ما يناله المخلوق كنعمة يمكن أن يفقده ، وما يوهب من الخارج وليس له أصل فى الطبيعة المخلوقة قابل للضياع ، لماذا يتزلون كرامة التدبير إلى شئ بلا قيمة و بلا فاعلية ؟ لماذا يجعلون الخدمة الإلهية المقدسة (القداس) هى عبادة إنسان بسيط مثلنا أخذ كرامة من الإبن الحقيقى . هل يرغب هؤلاء فى إقناعنا بأن نعبد واحدا مثلنا ليس له سوى صلة عارضة بالإبن الكلمة ؟ وهل هذا يعتبر فوق كل رئاسة وسلطان وربوبية ؟

لقد تجسد الكلمة فعلا و لم يتصل بإنسان من نسل داود ، بل هو بذاته صار إنسانا ، و لم يحدث أن الكلمة اتصل بآخر وأعطاه صورة الألوهية بشكل عارض دون أن تكون

الألوهية الحقيقية . ألا يصبح هذا المخلوق إلها جديدا له بهاء اللاهوت فقط ، بل قد أضيف إلى الثالوث الواحد فى الجوهر وهو فى الحقيقة له طبيعة مخلوقة ومختلفة وغير مساوية للاهوت . وكيف يصبح هذا الذى لة علاقة ، يعبد مع الطبيعة الإلهية ، بل يشترك معها فى المجد الذى يقدم لها من المخلوقات ؟ (ص٣٩-٤٣) . كيف يصبح من هو ليس إلها مركز العبادة ؟ يقول صاحب المزامير ' نفسى قد إلتصقت بك ، (مز٨:٦٣) ، والرسول بولس يكتب ' من إلتصق بالرب فهو روح واحدة، (١كو ٦:١٧) ، فهل يمكن أن يصبح داود أو أى واحد منا مركزا للعبادة ، وأن نعبدهم لمجرد أنة توجد " إشارة " بأنهم التصقوا بالله ؟ وكلمة " التصق " لها معنى أعمق وأكثر قوة من " إتصل " لأن الإلتصاق يعنى علاقة مباشرة . لماذا نسقط كلمة "إتحاد" وقد استخدمها الآباء القديسون ، وإذا كان الأباء لم يستخدموا كلمة."صلة " مطلقا، فلماذا نستخدمها نحن؟. وعندما يرفض الهراطقة "الإتحاد" ويسمون الإتحاد "صلة" ، فهم يتحدثون عن البشر الذين توفرت لهم علاقة بالله ، فالكل يجتمع فى الله بالفضيلة والقداسة. والتلميذ يمكن أن يقال أنه يجتمع ويتصل بمعلمه عن طريق محبة التعليم. ونحن أيضا يتصل كل منا بالآخر بعدة طرق مختلفة مثل الذى يعمل مساعدا لشخص أخر ، فهو متصل بهذا للآخر بحسن النية والإرادة الصالحة بالذى طلبه كمساعد . فكلمة "صلة" معنوية وقد اخترعها الهراطقة لأنها تخدم تعليمهم عن الله الكلمة الذى إتصل وأتخذ إنسانا وجعلة إبنا وأقامة 'مساعدا، ينفذ إرادته لاسيما فى الموت و القيامة ، وبعد ذلك يصعد هذا المساعد إلى السموات عينها ويجلس على العرش الإلهى غير الموصوف. ألا يقضى هذا الشرح على التجسد ، وألا يعتبر الكلام عن مساعد له صلة بالكلمة هو دعوة إلى اعتباره آخر غير الإبن المتجسد الذى هو بالطبيعة إبن الله؟ (ص٤٢-٤٥).

*إن من يأخذ شيئا يصبح هذا الشئ ملكا له. وهكذا بالنسبة للابن، عندما تجسد إتحد بما أخذه إتحادا بلا إفتراق. لذلك يسوع هو الإله و الإبن الواحد الوحيد ، إله حق لأنه الكلمة الذى من الله الاب والمولود منذ الأزل وقبل كل الدهور . وفى الأيام الأخيرة ولد هو نفسه من إمرأة ميلادا جسديا، و لم يكن آخر الذى ولد وإنما هو ذاته الذى كانت له صورة البعد عندما تجسد.

وكيف يمكن أن يقال عن من هو خاضع فعلا كعبد أنه أخذ صورة عبد. أليس هذا تناقضا؟

واليس الصواب أن يقال أن الذى هو بالحقيقة حر، وجوهره فوق كل اشكال العبودية هو الذى أخذ صورة العبد؟ إنة يجب علينا أن نقول أنه هو الله المتجسد، وأنه هو فى نفس الوقت واحد من إثنين ، فهو لم يتوقف عن كونة الله عندما تجسد ، وفى نفس الوقت لم يرفض التدبير ويرذل الوضع الخاص بالإخلاء. علينا أن لا نقسم أو نفصل فى الاسماء حتى لا يصبح لدينا إثنان مفترقان ، بل علينا أن نعتقد أنهما فى اتحاد بلا افتراق، لأن يوحنا يقول "الكلمة صارجسدا". ولا يعنى هذا أن الطبيعتين اختلطتا ،لأن الطبيعة الإلهية لله الكلمة لا يمكن أن تتحول إلى ناسوت،أو أن الجسد يتغير إلى طبيعة الله الكلمة نفسة ، ولكننا نقول : واحد هو الإبن وواحدة هى طبيعته رغم اعتقادنا بانه أخذ جسداً ذا نفس عاقلة ، لأن الناسوت صار ناسوته هو ، فهو الله المتانس . اللاهوت غير الناسوت بل هما مختلفان تماماً وكل منهما له طبيعته وكيانه الخاص به ، ولكن فى المسيح اتحدا بأسلوب لا يمكن التعبير عنه بدون إختلاط ولا تغيير بل بإتحاد يفوق الإدراك . ألا نقول أن اى انسان منا هو واحد ، وله طبيعة إنسانية واحدة رغم أن طبيعته ليست بسيطة ، وإنما مركبة من إثنين أى النفس والجسد ، وهل يمكننا أن نفصل الجسد عن النفس المتحدة به ونقسم الواحد (الأقنوم) إلى اثنين ، ألا نلغى بذلك وحدةالإنسان ؟ وهذا ما نجده فى الكلام عن عمانوئيل نفسه . ولذلك بعد الإتحاد بالجسد ، إذا قال أحد أنه الإبن الوحيد الاله الحق من الاله الحق ، فإنه لا يعنى بذلك أنه منفصل عن الجسد أو أنه بلا جسد ، وإذا قال أحد أنه انسان ، فان هذا لا يعنى أنه ليس الإله والرب (ص ٤٥ — ٥٠).

+ إن القول بطبيعة واحدة لا يتضمن أى إحتمال للإختلاط أو الإمتزاج أو التغيير ، ولا يعنى إمتصاص وذوبان الناسوت فى اللاهوت بسبب ضعفه . فكما أنه ليس مستحيلا على الله أن يجعل الناسوت قادراً على أن يحتمل خصائص اللاهوت . وقد سبق الله وأشار إلى هذا عندما قدم السر لموسى وأعطاة مثالا على التجسد، وذلك عندما جاء فى شكل نار مشتعلة فى العليقة دون أن تحترق ، مما جعل موسى يندهش من المنظر . وقد كان احتمال أغصان العليقة ألسنة اللهب مثالا للسر الذى أعلن احتمال الناسوت ألوهية الكلمة، لأنه أمام إرادته لا يوجد شئ مستحيل (ص ٥٢ ، ٥٣).

+ إن رفض الإتحاد يعنى الاعتراف بإبنين ومسيحيين ، ويعنى أن القول بتجسد الكلمة يصبح زائفا ولا معنى له وبلا قيمة . ولا يمكن أن يدعى الكلمة الذى من الله الآب إبن داود بدون إتحاد. لكن الكلمات الصادقة تؤكد أن الإبن الوحيد الكائن هو ذاته وليس اخر ولد من نسل داود حسب الجسد . ان الكلمة الذى بالطبيعة والحق ولد من الآب أخذ لحماً ودماً وظل هو نفس الطبيعة وبالحق الإبن من الآب ، لأنه واحد وليس اخر معه . هو الله الكلمة ومولود من نسل داود حسب الجسد (ص ٥٧ ، ٥٨) .

+ عندما نقول أن كلمة الله إتحد بطبيعتنا ، فإن كيفية هذا الإتحاد هو فوق فهم البشر . وهذا الإتحاد مختلف تماماً عن الأنواع الأخرى من الإتحاد . لكن إذ طلب منا أن نحدد كيفية إتحاد اللاهوت والناسوت ، نقول أنه من اللائق أن نعتقد ان اتحاد اللاهوت بالناسوت فى عمانوئيل هو مثل إتحاد نفس الانسان بجسده . والنفس تجعل الأشياء التى للجسد هى لها رغم أنها (أى النفس) بطبيعتها لا تشارك الجسد آلامه المادية الطبيعية أو الآلام التى تسببها للجسد الاشياء التى هى خارج الجسد . لأن الجسد عندما يتحرك مدفوعا نحو رغباته الطبيعية (الجسدية) فإن النفس التى فيه تعرف هذه الرغبات بسبب إتحاد النفس بالجسد ، لكنها (النفس) لا تشارك الجسد رغباته ، ومع ذلك تعتبر أن تحقيق الرغبة هو تحقيق لرغباتها هى (النفس) . فإذا ضرب الجسد أو جرح بالحديد مثلاً ، فإن النفس تحزن مع جسدها ، ولكن بطبيعتها لا تتألم بالالام المادية التى تقع على الجسد ، ومع هذا يلزم أن نقول أن الاتحاد فى عمانوئيل هو أسمى من أن يشبه باتحاد النفس بالجسد . لأن النفس المتحدة بجسدها تحزن مع جسدها ، وهذا حتمى ، حتى إنها عندما تقبل الهوان تتعلم كيف تخضع لطاعة الله . أما بخصوص الله الكلمة ، فإنه من الحماقة القول أنه كان يشعر – بلاهوته – بالإهانات لأن اللاهوت لا يشعر بما نشعر به نحن البشر . وعندما اتحد بجسد له نفس عاقلة وتألم لم ينفعل – اللاهوت – بما تألم به ، ولكنه كان يعرف ما يحدث له ، واباد كإله كل ضعفات الجسد ، رغم أنه جعلها ضعفاته هو ، فهى تخص جسده ، لذلك (بسبب الإتحاد) قيل عنه أنه عطش وتعب وتألم لأجلنا . ولذلك فإن إتحاد الكلمة بطبيعتنا البشرية يمكن على وجه ما أن يقارن بإتحاد النفس بالجسد ، لأنه كما أن الجسد من طبيعة مختلفة عن النفس ، لكن الإنسان واحد من إثنين (النفس والجسد) ، هكذا المسيح واحد من الأقنوم الكامل لله الكلمة ومن الناسوت الكامل . والألوهية نفسها والناسوت نفسه فى الواحد بعينه الأقنوم الواحد . وكما قلت إن الكلمة يجعل آلام جسده آلامه هو ، لأن الجسد هو جسده وليس جسد اخر سواه ، هكذا يمنح الكلمة جسده كل ما يخص لاهوته من قوة حتى أن جسده قادر على أن يقيم الموتى ويبرئ المرضى (شرح تجسد الإبن الوحيد ص ١٨ – ٢٠)

+ يمكننا أن نرى أيضاً الجمرة مثالاً لكلمه الله المتحد بالطبيعة البشرية دون أن يفقد خواصه ، بل حول ما أخذه (الطبيعة البشرية) وجعله متحداً به ، بل بمجده وبعمله ، لأن النار عندما تتصل بالخشب تستحوذعليه لكن الخشب يظل خشباً .. فقط يتغير إلى شكل النار وقوتها ، بل يصبح له كل صفات النار وطاقتها ويعتبر واحدا معها . هكذا أيضا يجب أن يكون إعتقادنا فى المسيح ، لأن الله أتحد بالإنسانية بطريقة لا ينطق بها . ولكنه ابقى على خواص الناسوت على النحو الذى نعرفه . وهو نفسه لم يفقد خواص

اللاهوت عندما اتحد به (بالناسوت) بل جعله واحداً معه . وجعل خواص (الناسوت) خواصه ، بل هو نفسه قام بكل أعمال اللاهوت فيه (فى الناسوت) . (المرجع السابق ص ٢٠ ، ٢١) .

+ وفى الرسالة الرابعة ، وهى الرسالة الثانية الى نسطور ، يقول القديس كيرلس :

التجسد يعني ان الكلمة الذى من الله تأنس . ونحن لا نقول إن طبيعة الكلمة تغيرت حينما صار جسداً وأيضا لا نقول إن الكلمة قد تغير الى انسان كامل من نفس وجسد ، بل بالأحرى نقول إن الكلمة قد وحد مع نفسة اقنوميا ، جسداً محياً بنفس عاقلة ، وصار إنساناً بطريقة لا يمكن التعبيرعنها أو ادراكها . . وهو قد دعى إبن الإنسان ليس بحسب الرغبة فقط ولا بحسب الإرادة الصالحة ، بل أيضاً ليس باتخاذه شخصاً معيناً . ونحن نقول إنه على الرغم من أن الطبيعتين اللتين إجتمعتا معاً فى وحدة حقيقية مختلفتان ، فإنه يوجد مسيح واحد وإبن واحد من إثنين . إن إختلاف الطبائع لم يبطل بسبب الإتحاد بل بالحرى فإن هذا الإتحاد الذى يفوق الفهم والوصف كون لنا من اللاهوت والناسوت رباً واحداً يسوع المسيح وإبناً واحداً .

وهكذا ، فرغم أن له وجودا قبل الدهور ، وقد ولد من الآب ، فإنه يقال أيضاً ولد حسب الجسد من إمرأة ، كما أن طبيعته الالهية لا تحتاج لنفسها بالضروة إلى ولادة أخرى بعد الولادة من الآب . ان القول بأن ذلك الذى هو موجود قبل كل الدهور وهو أزلى مع الآب ، يحتاج إلى بداية ثانية لكى يوجد ، إنما هو أمر بلا غاية وفى نفس الوقت هو قول أحمق . ولكن حيث إنه من أجلنا ومن أجل خلاصنا وحد الطبيعة البشرية بنفسة أقنومياً وولد من إمرآة ، فإنه بهذه الطريقة يقال إنه قد ولد جسدياً . لأنه لم يولد أولا إنساناً عادياً من العذراء القديسة ثم بعد ذلك حلّ عليه الكلمة ، بل إذ قد إتحد بالجسد الذى من أحشائها فيقال أن الكلمة قد قبل الولادة الجسدية ، لكى ينسب إلى نفسه ولادة جسده الخاص .

وهكذا فنحن نعترف بمسيح واحد ورب واحد ، ليس لإننا نعبد إنساناً مع الكلمة ، ولكننا نعبد واحداً هو نفسه الرب ، حيث إن الجسد لا يخص غير الكلمة الذى بإتحاده به يجلس عن يمين أبيه ، ليس كإبنين يجلسا مع الآب ، بل كإبن واحد متحد مع جسده الخاص، وإذا رفضنا الإتحاد الأقنومى نسقط فى التعليم بإبنين .

إن الكتاب لم يقل إن الكلمة قدوحد شخصا من البشر مع نفسه ، بل إنه صار جسداً . والكلمة إذ قد صار جسداً لا يكون آخرا . ولكن فى إتخاذه جسدا ظل كما هو (ص ١٣ – ١٦).

وقال القديس كيرلس فى حرومه الاثنى عشر ضد نسطور :

+ من لا يعترف أن الكلمة الذى من الله الآب قد اتحد بالجسد إقنوميا، وهو مع جسده الخاص مسيح واحد ، وأنه هو نفسه بوضوح إله وإنسان معا ، فليكن محروما .

+ من يقسم بعد الإتحاد المسيح الواحد إلى أقنومين ، ويربط بينهما فقط بنوع من الإتصال حسب الكرامة ، إى بواسطة السلطة أو بالقوة ، وليس بالحرى بتوحيدهما الذى هو حسب الإتحاد الطبيعى فليكن محروماً.

+من ينسب الأقوال التى فى الأناجيل والكتابات الرسولية ، سواء تلك التى قالها القديسون عن المسيح أو التى قالها هو عن نفسه ، إلى شخصين أى إلى أقنومين ، ناسباً بعضها كما الى انسان على حدة منفصلا عن كلمة الله ، وناسباً الأقوال الأخرى ، كملائمة لله ، فقط إلى الكلمة الذى من الله الآب وحده ، فليكن محروماً .

+من يتجاسر ويقول إن المسيح هو إنسان حامل الله وليس بالحرى هو الله بالحق ، والإبن الواحد بالطبيعة ، إذ أن الكلمة صار جسداً واشترك مثلنا فى اللحم والدم فليكن محروماً .

+ من يتجاسر ويقول إن الكلمة الذى من الله الآب هو إله وسيد للمسيح ، ولم يعترف بالحرى إنه هو نفسه إله وإنسان معاً ، حيث إن الكلمة صار جسداً حسب الكتب . فليكن محروماً .

من يقول إن الكلمة الله كان يفعل فى يسوع المسيح كإنسان، وأن مجد الوحيد قد نسب إليه كأنه آخر غيره (كما لو كان الوحيد منفصلا عنه) فليكن محروماً .

+ من لا يعترف بالجسد الرب هو معطى الحياة وهو يخص الكلمة الذى من الله الآب ، بل يقول انه جسد لواحد آخر غيره وأنه مرتبط به بحسب الكرامة ، أى حصل فقط على حلول الهى ، ولا يعترف بالحرى أن جسده معطى الحياة كما قلنا لأنه صار جسد الكلمة الخاص به ، الذى يستطيع أن يهب الحياة لكل الأشياء ، فليكن محروماً .

+ من لا يعترف أن كلمه الله تألم بالجسد (فى الجسد) وصلب بالجسد (فى الجسد) وذاق الموت بالجسد (فى الجسد) ، وصار من الأموات ، حيث إنه الحياة ، ومعطى الحياة كإله ، فليكن محروماً.

(الرسالة السابعة عشر ، وهى الرسالة الثالثة إلى نسطور ص ٣٥ – ٣٩).

ثالثا : القديسة العذراء والدة الإله

قال القديس كيرلس فى كتابه " شرح تجسد الإبن الوحيد" :
+ ولد الكلمه من الله الآب بطريقة لا ندركها . بل هى فوق مستوى الإدراك . لكنه فى الزمان الأخير تجسد وولد من إمرأة حسب الجسد . والذى حدث أنه أخذ من العذراء القديسة جسداً واتحد به إتحاداً حقيقياً . لذلك نعتقد أن العذراء القديسة هى والدة الإله ، لأنها ولدته حسب الجسد ، لكنه مولود فى ذات الوقت من الآب قبل كل الدهور .
+ إذا كان هناك أحد ما يتجرأ أو يعلم أن العذراء مريم ولدت الطبيعة الإلهيه غير الجسدانية ، فإن هذا هو الجنون بعينه لأن الطبيعة الإلهية ليست من تراب الأرض حتى تولد منه ، ولا تلك الخاضعة للفساد (أى العذراء) تصبح أما لعدم الموت ، ولا تلك الخاضعة للموت تلد الذى هو حياة الكل . ولا غير المادى يصبح ثمرة للجسد الذى بطبيعته خاضع للميلاد وله إبتداء فى الزمان . الجسد لا يمكنه أن يلد الذى لا بداية له .
لكننا نؤكد أن الكلمة صار ما نحن ، واخذ جسداً مثل جسدنا واتحد به إتحادا حقيقيا بطريقة فوق الإدراك والتعبير ، وأنه تأنس وولد حسب الجسد . ألا تولد النفس البشرية وهى من طبيعة مختلفة عن الجسد ، لأنها متحدة به ، ولا أظن أن احداً سيفترض أن النفس لها طبيعة الجسد أو أنها تتكون معه ، وإنما الله بطريقة غير معروفة يغرسها فى الجسد وتولد معه . ولذلك نحن نحدد أن الكائن الحى الواحد المولود هو من اثنين . وهكذا الكلمة هو الله لكنه تجسد ، وأيضا ولد حسب الجسد وبطريقة بشرية ، لذلك تدعى التى ولدته ، والدة الإله (ص ٤٣ — ٤٥)
وقال القديس كيرلس فى رسائله (ترجمة دكتور موريس تاوضروس ، ودكتور نصحى عبد الشهيد) :
+حيث إن العذراء القديسة ولدت جسدياً، الله متحداً بالجسد حسب الأقنوم ، فنحن نقول إنها والدة الإله ، ليس أن طبيعة الكلمة تأخذ بداية وجودها من الجسد ، لأنه (أى الكلمة) كان فى البدء ، والكلمة كان الله . وكان الكلمة عند الله " يو ١ : ١ وهو نفسه خالق الدهور ، وهو أزلى مع الآب وخالق كل الأشياء . لأنه كما قلنا سابقاً، إنه إذ وحّد الإنساني بنفسه أقنومياً ، فإنه إحتمل الولادة الجسدية من بطنها . وإذ قد ولدته إمرأة

موحداً نفسه بالجسد فسوف ترفع اللعنة إذن عن كل الجنس البشري (الرسالة السابعة عشرة ، الجزء الأول ص ٣٤).

+ من لا يعترف أن عمانوئيل هو الله بالحقيقة ، وبسبب هذا فالعذراء هي والدة الإله (لأنها ولدت جسدياً الكلمة الذى من الله ، الذى تجسد) فليكن محروماً (الرسالة السابعة عشرة – الجزء الأول – ص ٣٥).

+ نعترف أن ربنا يسوع المسيح ، إبن الله الوحيد ، هو إله كامل وإنسان كامل ذو نفس عاقلة وجسم ، وهو مولود من الآب قبل كل الدهور بحسب لاهوته ، وأنه هو نفسه فى الأيام الأخيرة ، من أجلنا ومن أجل خلاصنا ولد من مريم العذراء بحسب ناسوته ، وهو نفسه من الجوهر نفسه الذى للآب (أو مع الآب) حسب لاهوته ، ومن نفس الجوهر الذى لنا (أو معنا) بحسب ناسوته ، لأنه قد حدث إتحاد بين الطبيعتين ، لأجل هذا نعترف بمسيح واحد ، إبن واحد ، رب واحد . وبحسب هذا الفهم للإتحاد بدون إختلاط ، نعترف بأن العذراء القديسة هى والدة الإله ، لأن الله الكلمة قد تجسد وتأنس . ومنذ ذات الحمل به وحّد الهيكل الذى أخذه منها ، مع ذاته . (الرسالة ٣٩- ص٤٣) .

+ربما يقول أحد أن إسم " المسيح " لا يطلق فقط على عمانوئيل وحده ، بل سوف نجده يطلق على آخرين أيضاً ، لأن الله قال فى موضع ما عن أولئك الذين أختيروا وتقدسوا بالروح " لا تمسوا مسحائى ولا تسيئوا إلى انبيائي " مز ١٠٥ : ١٥ . وعلى ذلك فإن إسم المسيح يجب أن يطلق ليس فقط وبوجه خاص على عمانوئيل ، بل أيضاً على كل الباقين الذين يمسحون بنعمة الروح القدس. ولكن توجد هوة كبيرة واختلافات لا تقارن تفصل بين حالتنا وبين مجد وتفوق مخلصنا ، فإن كان جميع الآخرين هم مسحاء ، وهذا معقول جداً بسبب انهم مسحوا ، أما المسيح وحده فهو الإله الحقيقي ، عمانوئيل – وبالحقيقة فإن أحداً لا يخطئ ، إن اختار أن يقول أن أمهات آخرين هم " والدات مسيح " ، ولكن ليسوا بأى حال "والدات إله " أيضاً. إن العذراء القديسة وحدها بالمقابلة مع اولئك النساء ، هى كما ندركها وندعوها ، والدة المسيح ووالدة الإله معاً ، لأنها لم تلد مجرد إنسان بسيط مثلنا ، بل بالحرى الكلمة الذى من الله الآب الذى تجسد وتأنس لأننا نحن أيضا ندعى آلهة بحسب النعمة أما الإبن فليس إلهاً على هذا النحو ، بل بالحرى هو إله بالطبيعة وبالحق ، حتى وإن قد صار جسداً .

+ ولكن ربما تقولون هذا :" قل لى إذن ، هل العذراء صارت والدة لاهوته ؟ . وردا على هذا نقول إن كلمه الله نفسه الحى ، الكائن بإقنومه ، ولد من جوهر الله الآب ذاته ، وان

الذى كان بلا بداية صار له بداية فى الزمن وكان دائما موجوداً مع الذى ولده وكائنا فيه وموجودا معه ويشاركه فى التفكير . فى أزمنة الدهر الخيرة حينما صار جسداً ، أى حينما اتحد بجسد ذى نفس عاقلة ، قيل إنه ولد أيضاً جسدياً من إمرأة . إن سر تجسده هو بكيفية ما ، مماثل لولادتنا ، لأن أمهات أولئك الذين على الأرض الخاضعات لقوانين الطبيعة فيما يخص الولادة ، لهم يثبت فى الرحمة ، وهو الذى ينمو قليلا بحسب أفعال الله غير المدركة ويصل الى النضوج فى يئة إنسان . الله يرسل الروح فى الكائن الحى بكيفية معروفة له،وهذا بحسب قول النبى " لأنه يجبل روح الأنسان فى داخلة " (زك ٢ : ١) .

إن لوغوس (كيان) الجسد واحد ، وكذلك فإن لوغوس (كيان) النفس آخر ، ومع ذلك فحتى لو كانت هؤلاء النساء هن فقط أمهات للأجساد التى من الأرض ، إلا انهن يلدن الكائن الحى كله ، وأنا أعنى كائناً مكون من جسد ونفس ، ولا يقال عنهن أنهن يلدن جزءاً من الكائن ، ولن يقول أحد ان إليصابات ، مثلاً ، كانت أماً فقط لجسد ، وليست أماً ولدت نفساً فى العالم الى جانب الجسد ، لأنها ولدت المعمدان إنسانا ذا نفس ، وكائناً حياً مكوناً من الإثنين ، وأنا أعنى إنساناً له نفس وجسد معاً .

إننا سنقبل أن شيئاً مثل هذا قد حدث فى ولادة عمانوئيل ايضا ، لأن كلمة الله الوحيد قد ولد من جوهر الله الآب . ولكن حيث إن الكلمة إتخذ له جسداً وجعله خاصا به ، فإنه أيضا حمل إسم إبن الإنسان وصار مثلنا . وإن رغب أحد أن يقول أن أم فلان هى أم لجسده فقط وليست أيضاً أما لنفسه ، فإنه بذلك يفكر بغباء شديد ، لأن الكائن الحى يولد مكوناً بحذق من عنصرين غير متماثلين ، إلا أنه لإنسان واحد ، وكل عنصر منهما يظل كما هو . والإثنان هما معاً كما فى وحدة طبيعية واحدة ، كما لو كانا يفحصان أحدهما الآخر ، وكل منهما ينقل إلى الآخر ما هو خاص به (الرسالة الاولى ص ١٠ — ١٤)

+ وفى رسالة القديس كيرلس إلى أكاكيوس ، كتب يقول :

لأنى أجد الأسقف المطوب الذكر أثناسيوس ، كثيرا جداً فى كتاباته ، يسمى العذراء والدة الإله . وابينا المبارك ثيؤفيلس وأساقفة آخرون كثيرون من القديسين فعلوا هذا أيضاً فى أيامهم : باسيليوس وغريغوريوس والمبارك أتيكوس نفسه . وليس أحد من الأساقفة المستقيمى الرأى كان يخاف أن يدعو العذراء والدة الإله ، إن كان من الحق أن عمانوئيل هو الله (الرسالة الرابعة عشرة ص ٦٤).

+ وفى رسالته إلىٰ إكليروس وشعب القسطنطينية . كتب القديس كيرلس :

تذكروا ايضا ابائنا القديسين الذين مارسوا خدمة الكهنوت فى وسطكم بإستقامة وقداسة الذين حينما كانوا لا يزالون يعيشون بينكم كانوا يدعون العذراء القديسة والدة الإله ،

[illegible]

لأنها ولدت عمانوئيل الذى هو الله الحق (الرسالة الثامنة عشرة ص ٧٤)

+ وفى رسالته إلى اكاكيوس أسقف ميليتيني ، كتب القديس كيرلس:

إننا نجد أن نسطوريوس قد أنكر تماماً ميلاد إبن الله الوحيد حسب الجسد ، لأنه يقول إنه لم يولد من إمرأة حسب الكتب ، فهو يتكلم هكذا : تعلمت من الكتب الإلهيـــة أن الله جاء من العذراء أم المسيح ، ولكن لم أتعلم فى أى مكان أن الله ولد منـــها . وأيـــضا فى تفسير آخر يقول : لا يذكر الكتاب الإلهى فى أى موضع أن الله ولد من العذراء أم المسيح ، بل يسوع ، الابن ، والرب . وحيث إنه يقول هذا ، فكيف يشك أى واحد أنه بقوله هذه الأشياء هو يقسم الإبن الواحد إلى إبنين ، واحد منهما مأخوذاً على حدة يقول إنـــه هو إبن ومسيح ورب الكلمة المولود من الله الآب ، أما الآخر ، وأيضاً مأخوذاً على حدة ، يقول إنه إبن ومسيح ورب ولد من العذراء القديسة .

ولكن أولئك الذين يدعون العذراء القديسة والدة الاله ، يقولون انه إبن ومـــسيح ورب واحد ، كامل فى اللاهوت وكامل فى الناسوت ويرون أن جسدة محياً بنفس عاقلـــة . لأن كونهم (أى أساقفة الشرق) لا يقولون ان هناك إبناً هو الكلمة الـــذى مـــن الله الآب ، وآخر ايضاً الذى ولد من العذراء القديسة كما يعلم نسطوريوس ، بل بالحرى إبن واحد الذى هو نفسه ، يصير مؤكداً وواضحا جداً حسب اللاهوت . وفى الأيـــام الأخـــرة ، لأجلنا ولأجل خلاصنا ولد من مريم العذراء القديسة حسب ناسوته ، وأنه هو من الجوهر نفسه الذى للآب حسب لاهوته ، ومن الجوهر الذى لنا حسب ناسوته

ولكن عند نسطوريوس لا تبدو الأمور هكذا ، بل بالحرى فإن قصده قد تحول الى العكس تماماً . وفى الحقيقي إنه قال وهو يعلم فى الكنيسة : " لهذا السبب أيضا يسمى المـــسيح الله الكلمة من أجل أن له اتصال غير منقطع بالمسيح ، وأيضا قال : فلنحفظ الإتـــصال غـــير المختلط للطبيعتين ، لأنه دعنا نتعرف بالله فى الإنسان ، وبسبب الإتصال الإلهى دعنا نكرم الإنسان المعبود مع الله الكلى القدرة .

لذلك أنتم ترونه كيف أن تفكيره غير معقول ، لأنه مملوء حتى النهاية بعدم التقوى . فهو يقول إن كلمه الله على حدة يسمى المسيح ، وله اتصال غير منقطع مع المسيح ، لـــذلك

ألا يقول هو بكل وضوح بمسيحين ؟ ألا يعترف أنه يكرم إنساناً – لست أعرف كيف – وهو الذى يعبد مع الله ؟
ألا يظهر أن أقواله هذه ليست لها علاقة بأقوال أساقفة الشرق ؟ أليست أفكاره متناقضة ، لأنه يقول بوضوح إنه يوجد إثنان ، أما هم فيعترفون أنهم يعبدون مسيحاً واحداً وإبناً وإلهاً ورباً ، وهو نفسه من الآب بحسب اللاهوت ومن العذراء القديسة بحسب الناسوت ، لأنهم يقولون أنة قد صار إتحاد لطبيعتين ولكنهم يعترفون بوضوح بمسيح واحد ، إبن واحد ورب واحد ، لأن الكلمة صار جسداً حسب الكتب ، ونحن نقول : إن اتحاداً تدبيرياً بلا انفصال ويفوق التعبير قد تم حقاً بين أشياء غير متشابهة (رسالة ٤٠ ص ٤٧– ٤٩).

وعن بتولية العذراء القديسة ، كتب القديس كيرلس :

ولكن أولئك الذين يجادلون ويقولون ، إن كان هو قد جاء فى الجسد فتكون العذراء ، قد فسدت ، وإن لم تكن قد فسدت ، فإنه يكون قد جاء بطريقة خيالية فقط ، هؤلاء نقول لهم ان النبي يعلن ان الرب إله اسرائيل قد دخل وخرج ، والباب يظل مغلقاً " (خر ٤٤ : ٢). وايضاً ان كان الكلمة قد صار جسداً بدون تزاوج جسدى ، إذ أنه حبل به بدون زرع بشر فإنه إذن ولد بدون أن تمس عذراويتها (تفسير إنجيل لوقا للقديس كيرلس الإسكندرى – الجزء الأول – ترجمة دكتور نصحى عبد الشهيد – مركز دراسات الاباء – ١٩٩٠ ص ٢٨).

رابعا : الخــــلاص

يقول القديس كيرلس فى شروحه على الإنجيل للقديس لوقا :
+ المسيح الذى هو باكورة الجميع ، وهو ادم الثانى حسب الكتب ، قد ولد من الـــروح لكى ينقل هذه النعمة(نعمة الولادة الروحية) إلينا نحن أيضاً وقد أعد لنا نحن أيضاً أن لا نحمل فيما بعد اسم ابناء البشر ، بل بالأحرى نولد من الله وذلك بحصولنا علـــى المـــيلاد الجديد من الروح الذى تم فى المسيح نفسه أولا ، لكى يكون هو " متقدماً بين الجميع " (كو ١ : ١٥) . ويقول عنه بولس الحكيم جداً " متى أدخل البكر إلى العـــالم ، يقـــول ولتسبح له كل ملائكة الله " (عب ١ : ٦)، فكيف إذن دخل إلى العالم ؟ لأنه منفـــصل عن العالم ، ليس من جهة المكان بقدر ما هو من جهة الطبيعة ، فإنه يختلف عن ســـكان العالم فى الطبيعة ، ولكن دخل الى العالم بأن صار إنساناً ، وبذلك صار جزءاً من العـــالم بالتجسد . ورغم أنه هو الابن الوحيد من جهة ألوهيته ، إلا أنه لكونه صار أخاً لنا ، فقد أصبح له إسم " البكر " ولكى يصير هو الباكورة لتبنى البشرية ، فإنه يمكن أن يجعلنا أيضاً أبناء الله . لذلك لاحظوا أنه يدعى البكر من جهة التدبير ، لأنه من جهه ألوهيته هو الإبن الوحيد ، ولكنة يصير بكراً بتنازله إلى مستوى المخلوقات .وقد دعى بكراً " بـــين اخـــوة كثيرين بسبب أنه صار مثلنا فى كل شئ ما عدا الخطية ، ودعى " البكر من الأمـــوات " لأنه هو الأول الذى أقام جسده إلى حالة عدم الفساد . هو البكر " لأجلنا نحن حتى عندما يدعى بكراً للمخلوقات ، فإن كل من يشابهه يخلص بواسطته (ص ٢٨ - ٣٠).
+ إن الإبن الوحيد صار جسداً واحتمل أن يولد من إمرأة من أجلنا ، لكى يبطل اللعنـــة التى حكم بها على المرأة الأولى : تذكر ما كتبه بولس الحكيم جداً عنه " لأنه مـــا كـــان الناموس عاجزاً عنه لأنه كان ضعيفا بالجسد ، فالله إذ أرسل إبنه فى شبه جسد الخطيـــة ، ولأجل الخطية دان الخطية فى جسده ، لكى يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين لـــيس حسب الجسد ، بل حسب الروح " (رو ٨ : ٣،٤) . فما معنى قوله إن الابن أرسل فى شبه جسد الخطية ؟ هذا هو المعنى : أن ناموس الخطية يكمن مختفياً فى أعضائنا الجـــسدية مصاحباً لتحرك الشهوات الطبيعية المخجلة ، ولكن حينما صار كلمـــة الله جـــسداً ، أى إنساناً ، فاتخذ شكلنا فإن جسده كان مقدساً ونقياً نقاوة كاملة . وهكذا كان حقـــاً فى

شبه جسدنا ، ولكن ليس بنفس مستواه ، لأنه كان حراً من ذلك الميل الذى يقودنا إلى ماهو ضد الناموس (ص ٣٤ – ٣٥)

+ فالمسيح إفتدى من لعنة الناموس أولئك الذين بوجودهم تحت الناموس كانوا عاجزين عن تتميم قوانينه . وبأية طريقة إفتداهم ؟ بتتميم الناموس أو بعبارة أخرى : انه لكى يكفر عن ذنب معصية أدم ، فقد أظهر نفسه مطيعاً وخاضعاً من كل الوجوه لله الآب عوضاً عنه ،لأنه مكتوب " كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة ، هكذا أيضا بإطاعة الواحد سيجعل الكثيرون ابراراً (رو ٥ : ١٩) . لذلك فقد أحنى عنقه للناموس مشتركاً معنا ، لأن هذا ما استلزمته خطة الخلاص ، لأنه هكذا يليق أن يكمل كل بر . ولذلك حينما تراه يحفظ الناموس تأمل فى عمق تدبير الخلاص . فعند بلوغ اليوم الثامن ، الذى جرت العادة أن يتم فيه الختان فى الجسد بحسب أمر الناموس ، نجده يسمى بإسم يسوع الذى تفسيره يشير إلى خلاص الشعب ، لأنه هكذا أراد الآب أن يسمى إبنه حينما يولد بالجسد من إمرأة ، لأنه عندئذ صار خلاص الشعب بنوع خاص ، وليس خلاص واحد فقط ، بل كثيرين ، وبالحرى كل شعب بل والعالم كله . إذن فقد أخذ إسمه فى نفس الوقت الذى ختن فيه . والمسيح قام من الأموات وأعطانا الختان الروحى لأنه أوصى الرسل القديسين قائلاً " إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم بإسم الآب والابن والروح القدس " . ونحن نؤكد أن الختان الروحى يتم بصورة رئيسية فى وقت المعمودية المقدسة حينما يجعلنا المسيح مشتركين فى الروح القدس . وقد كان يشوع القديم إذ جاء بعد موسى مثالاً أيضاً لهذا ، لأنه قاد بنى إسرائيل أولاً عبر الأردن ، وبعد ذلك مباشرة ختنهم بسكاكين من صوان . هكذا نحن أيضاً حينما نعبر الأردن فإن المسيح يختننا بقوة الروح القدس ، ليس لتطهير الجسد، بل بالحرى لقطع النجاسة التى فى نفوسنا (ص٤٠ ، ٤١) . لذلك ختن المسيح فى اليوم الثامن وأخذ إسمه ، لأنه حينئذ خلصنا بواسطته وفيه كما هو مكتوب " وفيه ختنتم ختاناً غير مصنوع بيد ، بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح مدفونين معه فى المعمودية التى فيها أقمتم أيضاً معه (كو ٢ : ١١) ، لذلك فإن موته كان من أجلنا ، وهكذا أيضا كانت قيامته وكان ختانه .انه قد مات حتى إننا نحن الذين متنا معه فى موته لأجل الخطية ، لا نعود نحيا للخطية ولهذا السبب قيل " إن كنا قد متنا معه فسنحيا أيضاً معه " (٢تى ٢: ١١) . وقد قيل إنه قد مات لأجل الخطية ليس لأنه قد أخطأ " لأنه لم يفعل خطية ولا وجد فى فمه غش " (١بط ٢ : ٢٢) ، بل بسبب خطيتنا . لذلك فقد متنا معه حينما مات هكذا أيضاً نقوم معه (ص ٤١ -٤٢) .

+كم هو عظيم وعجيب تدبير الخلاص . إنه كبكر وذكر ، قدم زوج يمام أو فرخى حمام حسب أمر الناموس . واليمام هو أكثر طيور الحقل فى إصدارها للأصوات . أما الحمام

فهو مخلوق هادئ ووديع . وهكذا صار مخلص الكل بالنسبة لنا مطهرا الكل ووداعة ولطفا من نحونا . وأيضا مثل اليمام فإنه يهدئ العالم ، ويملأ حقله الخاص الذى هو نحن المؤمنين بنغم صوته الحلو ، لأنه مكتوب فى نشيد الأناشيد " صوت اليمامة سمع فى أرضنا " (نش ٢ : ١٢) ، لأن المسيح قد كلمنا برسالة الانجيل الإلهية التى هى لخلاص العالم كله (ص ٤٣ ، ٤٤) .

+ هل هناك شئ أحلى من أن نتعلم أن الله قد خلص العالم بواسطة إبنه وذلك بأن صار إنساناً مثلنا ، كما هو مكتوب " يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس ، الإنسان يسوع المسيح ، الذى بذل نفسه فدية لأجلنا " لأنه من تلقاء نفسه نزل الى فقرنا لكى يجعلنا أغنياء بحصولنا على ما هو له (ص ٤٥)

+ إن الله الآب قد سبق وأعلن بواسطة الانبياء والقديسين أن الإبن سيظهر فى الوقت المعين ليخلص الذين هلكوا ولينير على الذين كانوا فى الظلمة . وقد قال بواسطة أحد الأنبياء القديسين " برى يأتى سريعاً ورحمتى تعلن وخلاصى يتقد كمصباح " (اش ٦٢ : ١) ولكن الرحمة والبر هما المسيح ، لأن به حصلنا على الرحمة والبر ، إذ قد غسلنا من شرورنا الدنسة بالإيمان به . وكما يضئ المصباح أمام أولئك الذين يسيرون فى الظلمة والليل ، هكذا صار المسيح لأولئك الذين فى الكآبه والظلمة العقلية ، غارساً فيهم النور الإلهى ، ولأجل هذا السبب أيضاً صلى الأنبياء لكى يصيروا شركاء نعمته العظيمة قائلين " أرنا الرب رحمتك وأعطنا خلاصك " (مز ٨٥ : ٧) لذلك فالمسيح صار نور إعلان للأمم ، ولكنه صار أيضاً مجداً لإسرائيل ، لأنه رغم أن البعض منهم تغطرسوا وعصوا وكانت لهم عقول لا تفهم إلا أنه كانت هناك بقية قد خلصت وأدخلت إلى المجد بالمسيح ، وباكورة هؤلاء البقية هم التلاميذ الإلهيون الذين أشرق نور شهرتهم لينير العالم كله (ص ٤٦ — ٤٨).

+ وماذا يقول سمعان النبى عن المسيح ؟ " ها إن هذا الطفل قد وضع لسقوط وقيام كثيرين فى إسرائيل ، ولعلامة تقاوم " .أما العلامة التى تقاوم فيقصد بها الصليب الثمين الذى يقول عنه بولس الحكيم جداً أنه " عثرة لليهود وجهلة لليونانيين " (١كو ١ : ٢٣) وأيضا يقول عنه أنه " للهالكين جهالة ، أما عندنا نحن المخلصين فهو قوة الله للخلاص " (١ كو ١ : ١٨) . لذلك فالعلامة التى تقاوم تبدو جهالة لأولئك الهالكين ، بينما هى خلاص وحياة للذين يعترفون بقوة الصليب (ص ٤٨ : ٤٩)

+" ويبصر كل جسد خلاص الله " أى الخلاص الذى من الآب لأنه أرسل إبنه لكى يكون مخلصاً لنا . وعبارة " كل جسد " يقصد بها الإنسان عموماً أى كل الجنس البشري ، لأنه هكذا سيبصر كل جسد خلاص الله ، ليس إسرائيل فقط بل كل البشر ، لأن لطف المخلص رب الكل ليس له حدود ، وهو لم يخلص أمة واحدة فقط ، بل بالحرى احتضن العالم كله فى شبكته ، وقد أنار على كل الذين فى الظلمة . وفى نفس الوقت ، فإن بقية إسرائيل تخلص ، وذلك كما سبق أن أعلن موسى العظيم منذ القدم قائلاً " هللوا أيها الأمم مع شعبه (ص ٦٠) .

بأية طريقة يتكاثر نسل ابراهيم ويكون الوعد الذى أعطاه له الله صحيحاً ؟ الجواب هو بدعوة الأمم ، لأنه قيل لابراهيم نفسه أنه " بإسحق يدعى لك نسل " تك (٢١ : ١٢) ، وأيضاً " قد جعلتك أباً لأمم كثيرة " (تك ١٧ : ٤) . وعبارة " بإسحق " تعنى بحسب الموعد ، وهو قد جعل اباً لأمم كثيرة بالإيمان ، أى فى المسيح . والمعمدان المبارك . يدعو الأمم بوضوح " الحجارة " لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الذى هو بالطبع الله وعبدوا المخلوق بدل الخالق ، ولكنهم مع ذلك قد دعوا من الله وصاروا أبناء ابراهيم وبإيمانهم بالمسيح إعترفوا بالذى هو بالطبيعة ونضيف المثل الوارد عن شجرة التين غير المثمرة ، فإن الله قطعها ، ومع هذا فهو لا يقول أن الفأس قد وضع فى أصل الشجرة بل على أصل الشجرة أى بالقرب من أصل لأن الأغصان قد قطعت اما الشجرة فلم تخلع من جذورها ، ذلك لأن بقية إسرائيل قد خلصت و لم تهلك بالمرة (ص ٦٢ ، ٦٣).

+ ويتحدث القديس كيرلس عن شريعة التطهير فى العهد القديم وإشارتها إلى سر المسيح وتدبير الخلاص ، فيقول :

كل من يريد أن يرى يمكنه أن يرى سر المسيح العميق والفائق القدرة الذى كتب لمنفعتنا فى سفر اللاويين . لأن ناموس موسى يعلن أن الأبرص نجس ويأمره أن يخرج خارج المحلة كنجس . ولكن إذا زال المرض منه فإن الناموس يأمر السماح للمريض بدخول المحلةوبالأضافة إلى ذلك فإن الناموس يحدد بوضوح الطريقة التى تعلن بها طهارة الأبرص فيقول : هذه تكون شريعة الأبرص يوم طهره . يؤتى به الى الكاهن . ويخرج الكاهن خارج المحلة فإن رأى الكاهن وإذا ضربة البرص قد برأت من الأبرص يأمر الكاهن أن يؤخذ للمتطهر عصفوران حيان طاهران ... ويأمر الكاهن أن يذبح العصفور الواحد فى إناء خزف على ماء حى ، أم العصفور الحى فإنه يغمسه فى دم العصفور المذبوح على الماء الحى ويرش على المتطهر من البرص سبع مرات فيطهره ، ثم يطلق العصفور الحى على وجه الصحراء " (لا ١٤ : ١-٧) . ، فالعصافير إذن عددها إثنان وكلاهما بلا عيب اى

طاهرين ، وهى بلا لوم من جهة الشريعة ، ويذبح أحدهما على الماء الحى ، أما الآخر فإذ ينجو من الذبح ، فإنه بعد ذلك يعمد فى دم العصفور الذى ذبح ثم يطلق حراً . هذا المثال يمثل لنا السر العظيم والمكرم الذى لمخلصنا ، لأن الكلمه كان من فوق ، اى من الآب من السماء ، ولهذا السبب من المناسب جداً أن يقارن بالطائر .

ويمكننا أن نرى فى العصفورين المقدمين فى تطهير البرص ، المسيح متألماً بالجسد حسب الكتب ولكنه يظل متعالياً على الآلام . " مماتاً فى الجسد ولكن محى فى الروح " (١بط ٣ : ١٨) . ورغم أن الكلمة لا يمكن أن يقبل آلام الموت فى طبيعته الخاصة ، إلا أنه ينسب إلى نفسه ما تألم به جسده . العصفور الحى إعتمد فى دم العصفور الميت . وهكذا إصطبغ بالدم ، وإذ صار مشتركاً فى الآلام ، فإنه أطلق حراً الى الصحراء .وهكذا ايضاً رجع كلمة الله الوحيد إلى السماء مع الجسد الذى إتحد به . وكان منظراً غريباً جداً فى السماء وجموع الملائكة دهشت حينما رأت ملك الأرض ورب القدرة مثلنا فى الشكل وقالوا " من ذا الآتى من أدوم — ويعنون بذلك الأرض — بثياب حمر من بصرة " (اش ٦٣ : ١) . وتفسير بصرة هو جسد . ثم سألوه ما هذه الجروح فى يديك ؟ فأجاب هى التى جرحت بها فى بيت أحبائى " (زك ١٣ : ٦) ، فكما انه بعد دعوته الى الحياة من الموت ، أمر توما أن يلمس آثار المسامير والفتحة التى فى جنبه ، هكذا أيضا حينما وصل الى السماء ، أعطى برهاناً كاملاً للملائكة بالدم ، والجروح فى يديه ، ليس لأنه لا يستطيع أن يلاشى الجروح ، لأنه حينا قام من الموت أبطل الفساد وأبطل معه كل علاماته وصفاته لذلك إحتفظ بآثار الجروح لكى تعلن حكمة الله المتنوعة التى صنعها فى المسيح ، فتعترف الآن عند الرؤساء والسلاطين بواسطة الكنيسة بحسب خطة الخلاص (١١٧ — ١١٩).

هكذا كان الناموس رسماً ومثالاًلحقائق آتية . فرغم انه كان هناك عصفوران ، إلا أن الذى كان يشير إلية العصفوران هو واحد فقط ، كمتألم وكحر من الألم ، كمائت وكمن هو فوق الموت ، وصاعد الى السماء كباكورة ثانية للطبيعة البشرية المتحدة فى عدم فساد . لأنه صنع لنا طريقاً جديداً الى ماهو فوق ، ونحن سوف نتبعه حينما يحين الوقت . فذبح أحد العصفورين بينما العصفور الآخر يعتمد فى دم المذبوح ويظل هو حراً من الذبح ، كان هذا إشارة إلى ماسيحدث حقيقة ، لأن المسيح مات لأجلنا ، ونحن الذين إعتمدنا لموته قد خلصنا بدم نفسه (ص١٢١).

+وفى شرحه للانجيل حسب القديس يوحنا ، يشير القديس كيرلس إلى الامور الرمزية التى فعلها موسى النبي برفع الحية الى البرية وما تشير الية بالنسبة لتدبير الخلاص، فيقول: لكن إذ ترفع الحية عالياً على قاعدة مرتفعة ، فإنها تشير الى أن المسيح كان ساطعاً وظاهراً

حتى لا يكون هناك من يجهله (شرح إنجيل يوحنا للقديس كيرلس الأسكندري – الجزء الثاني – ترجمة دكتور جرجس كامل يوسف–مركز الدراسات الاباء – ١٩٩٥ص ٢٤)

+ وفى الرسالة السابعة عشرة ، فى الحرم العاشر ، يقول القديس كيرلس :

يقول الكتاب المقدس أن المسيح هو رئيس كهنة ورسول إعترافنا (عب ٣ : ١) وأنه قدم نفسه من أجلنا رائحة طيبة لله الآب . لذلك فمن يقول أن رئيس كهنتنا ورسول إعترافنا ليس هو نفسه الكلمة الذى من الله حينما صار جسداً وإنساناً مثلنا ، بل إن هذا الإنسان المولود من المرأة هو أخر على حدة ، غير كلمة الله ، أو من يقول إنه قدم نفسه كذبيحة لأجل نفسه أيضاً ، وليس بالحرى لأجلنا فقط (فهو لا يحتاج إلى ذبيحة لأنه لم يعرف خطية) فليكن محروماً (ص٣٨).

ويتأكد هذا المعنى ، فيما يقوله القديس كيرلس فى كتابه " المسيح واحد " ، وهو يرد على ابتداعات الهراطقة ، حيث يكتب :

فإذا قالوا أنه ليس الإبن الوحيد الذى تجسد ، فمن ذا الذى يمكنه ان يصرح بالأمور التى لا يقدر غير الله وحده على أن يعلنها ، لا سيما خلاص الانسان مثل قوله : الخبز الذى أنا اعطيه هو جسدى عن حياة العالم " (يو ٦ : ٥١) وكيف نفترض أن آخر غير الكلمة أو إبن إنسان فقط هو الذى يعطينا جسده المحي وهو الذى خلصنا . هذا يتعارض مع الكلمات الإلهية الصريحة " أليس الرب نفسه هو الذى خلصنا " (اش ٥٣ : ٩) . كما أن الإفتراض بأن إنساناً مثلنا هو الذى خلصنا هو أيضاً مستحيل ، لأن المخلوقات الخاضعة للفساد تنال القيامة من الله وحده فهو القادر عل ان يهب الحياة ولا يستطيع أن يقيمها واحد من الخاضعين للفساد أى بشر مثلنا أخذ الحياة هبة ، أى أنه ليس فى الحقيقة مالكها ولذلك لا يقدر أن يعطيها لغيره . لكن إذ كان الكلمة هو الذى أخذ جسداً حسب شهادة الأسفار المقدسة ، وظهر للذين على الأرض وتحدث مع البشر (باروخ ٣: ٣٨) وجعل صورة العبد صورته ففى هذة الحالة بالذات أصبح يدعى إبن الإنسان أيضاً. و لم يكن مستطاعاً أن يصبح الجسد واهباً للحياة لأنه بالطبيعة خاضع لضرورة الفساد إلا إذا صار الجسد الخاص للكلمة الذى يحيى كل شئ لأنه فى هذه الحالة وحدها يمنح الجسد ما فيه من حياة ويصبح فعلا واهب الحياة. ولاعجب فى ذلك ، لأنه إذا اتحدت النار بالمعدن جعلته ساخناً مع أن المعدن بطبيعته بارداً ، لكن النار تجعل قوتها فى المعدن وتهبه الحرارة اللازمة .

فكيف لا يجعل الكلمة الذى هو الحياة وواهب الحياة قوته وقدرته فى جسده طالما أنه إتحد به بدون إختلاط ولا تغيير وجعله جسده الخاص بسر معروف له هو وحده (ص ١٠٦ ، ١٠٧)

+ وفى رسالته إلى أكاكيوس عن التيس المرسل ، يقول القديس كيرلس :

فلا ينبغى أن نرى فى التيس المذبوح سوى عمانوئيل محطماً للموت والخطية بواسطة موته

[illegible]

فى الجسد ، لأنه كان حرا بين الأموات (مز ٨٨ [illegible] س) الى [illegible] مذنباً معنا بما يستحق حكم الموت . ولنره فى التيس الآخر الحى المرسل ، ففى تألمه نـــراه كإنسان ، وفى عدم تألمه نراه كإله .وأيضاً نراه فى موته بالجسد ولكنه أعظم من المـــوت . وأيضاً نراه فى عدم بقائه فى القبر مثلنا ، وفى عدم إمساك أبواب الهاوية به مع بقية الأموات كما قال تلميذه " لأنك لن تترك نفسي فى الهاوية ولا تدع قدوسك يرى فساداً (أع ٢ : ٢٧ ، مز ١٥ : ١٠) ، لأنه قام محطماً الهاوية وقائلا للأسرى أخرجوا وللذين فى الظـــلام أظهروا (أش ٤٩ : ٩) . وصعد إلى أبيه فوق فى السماء الى الموضع الذى لايمكن للبشر الدخول اليه ، إذ أخذ على نفسه خطايانا وصاركفارة عنها ولذلك يكتب يوحنا للمؤمنين بوحى إلهى قائلاً " يا أولادى أكتب إليكم هذا لكى لا تخطئوا . وأن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع البار وهو كفارة لخطايانا ، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضا " ١يو ٢ : ١-٢) .

ويمضى القديس كيرلس فى حديثه ويقول :

ينبغى أن أقارن بين نصوص الكتب المقدسة لتذكير سامعى . والكتب تقول ما يلى :

" ويقدم التيس الحى ويضع هرون يديه على رأس التيس الحى ويقر عليه بكل ذنوب بـــنى إسرائيل وكل سيئاتهم مع كل خطاياهم ويجعلها على رأس التيس الحى ويرسله بيد إنسان إلى البرية (لا ١٦ : ٢٠ – ٢٢ س) . لذلك لاحظوا كيف يدعو التيس الثـــانى بـــالتيس الحى ، فى حين أن التيس الأول هو الذى ذبح . فكما قلت أن الإبن الواحـــد و الوحيـــد الرب يسوع المسيح يشار اليه فى الإثنين معاً كمتألم فى جسده الخاص وخارج الألم ، كما فى الموت وكما فوق الموت ، لأن كلمة الله كان حياً رغم أن جسده المقدس ذاق الموت ، وكلمة الله ظل غير متألم ، رغم أنه جعل آلام جسده خاصة به ونسبها الى نفسه (الرسالة ٤١ – ترجمة دكتور موريس تاوضروس ودكتور نصحى عبد الشهيد – الجزء الثالث من رسائل القديس كيرلس ١٩٩٥ –* مركز دراسات الآباء – ص ٦٨، ٦٩) .

خامساً الإنسان

نحصر حديثنا فى تعاليم القديس كيرلس عن الإنسان فى النقاط الأربع التالية :

١- كيان الإنسان .

٢- خصائص الطبيعة البشرية .

٣- سقوط الإنسان .

٤- غنى الطبيعة البشرية فى المسيح .

١- كيان الإنسان:

إدعى البعض أن النفوس البشرية كان لها وجود سابق على خلق أجسادها ، وانها كانت فى السماء حيث عاشت حياة الغبطة لفترة طويلة فى حالة غير متحسدة ، وهناك كانت تتمتع بالخيرات لأنها كانت نقية ، ولكنها عندما شبعت من الخيرات التى زادت عن احتياجاتها إنحدرت الى الأردأ وغرقت فى أفكار غريبة وشهوات لا تمت لها بصلة، فالخالق بكل عدل لم يرض عنها وأرسلها إلى العالم وسجنها فى أجساد ترابية ، وحبسها كما فى كهف مملوء باللذات الغريبة ، حتى تتعلم من المحنة مرارة الأنحطاط إلى الأدنى دون إعتبار للبقاء فى الصلاح .

وهم يستندون فى ذلك إلى القديس يوحنا " كان النور الذى ينير لكل إنسان آتيا الى العالم " مع نصوص أخرى من الأسفار الإلهية مثل " قبل أن أتواضع أنا ضللت " (مز ١١٩ : ٦٧) ، فيقولون ها هى النفس التى تقول إنها قبل تواضعها أى تجسدها قد زلت ، ولذلك عوقبت بعدل ووصلت الى عبودية الموت والفساد الذى يشير إليه الرسول وينسبه الى الجسد بقوله " ويحى أن الإنسان الشقى من ينقذنى من جسد هذا الموت "
(رو ٧ : ٢٤).

ويرى القديس كيرلس أنه من الحماقة الإدعاء بأن النفوس وجدت قبل أن توجد فى الجسد ، ويقدم البراهين التالية لشرح التعليم الصحيح .[1]

١- كيف يقول الإنجيلى إنها استنارت عند مجيئها إلى العالم ، لأن الإستنارة هى كرامة وإضافة عطية . والإنسان لا يعاقب بالكرامة ولا بأن ينال الصلاح الإلهى ، بل بنوال العقاب الذى يستحقه وغضب الديان . ولكن حيث ان الإنسان الذى يأتى الى العالم ليس

[1]- شرح انجيل يوحنا للقديس كيرلس الإسكندرية – الجزء الأول ص١٠٧ – ١٠٨ .

موضع غضب بل بالعكس يستنير ، فمن الواضح أنه كرم بالجسد ولم يأخذ الجسد كعقاب .

٢- لو كانت [illegible] عن الله سقط ، ولذلك حبس فى الجسد ، فكيف يستنير عند دخولة إلى العالم ؟ لأن من الواجب علينا أن نقول إن العقل كان معدماً من النور قبل مجيئه الى الجسد ، وإذا صح هذا فكيف أمكن إنارته وهو ساقط ومحبوس فى الجسد ، أما كان بالأولى إنارته قبل أن يحبس فى الجسد .

٣- ماهو السبب فى أن النفس التى أخطأت قبل أن توجد فى الجسد ، أرسلت إلى الجسد . هل أرسلت إليه لكى تتعلم وتختبر شناعة خطاياها . إنهم لا يخجلون من أن يقولوا ذلك . ولكن من الواضح أنه كان جديراً أن تحجب النفس عن شهوات الجسد لا أن تلقى فى الجسد وفى أعماق اللذات الوضيعة . لأن الدواء للشفاء ليس الجسد بل البقاء بعيداً عن الجسد . ولكن بمجيئها كان فى الواقع إضافة أمراض جديدة نابعة من الجسد ولذاته . وهو ما لايدعو للإعجاب بالطبيب الذى يصيب المريض بامراض كثيرة بما قرره له كدواء . وإذا كان حبس النفس فى الجسد معناه أن النفس سوف تكف عن شهواتها ، فكيف يكون ذلك ممكناً بعد أن نزلت إلى أعماق الشهوة ، كيف تعود الى ما كانت عليه من البدء وهى الآن قد إنحدرت الى عمق الخطية

٤- لو كانت النفس حبست فى جسد من لحم ودم كعقاب لها ، فكيف لا يكون الواجب الأول للذين امنوا بالمسيح ونالوا غفران الخطية ، أن يخلعوا الجسد ويتركوه لأنه عقاب لهم ؟ كيف تنال النفس غفراناً كاملاً وهى تظل حاملة أداة عقابها ؟ ولكن ما نراه هو ان الذين يؤمنون هم ابعد ما يكون عن الرغبة فى التحرر من الجسد . بل انهم بواسطة إعترافهم بالمسيح يعلنون عن قيامة الجسد. هذا يسقط صفة اداة العقاب عن الجسد ، لأنه يكرم بالاعتراف بالايمان ، ويشهد الجسد ، بعودته للحياة لقوة المخلص الالهية ، لأنه قادر على ان يفعل كل شئ بسهولة .

٥- لو كانت النفس فى وجودها السابق على الجسد قد اخطأت ولذلك حبست فى الجسد ، فلماذا يامر الناموس بمعاقبة الخطايا الثقيلة بالموت . هل هذا إكرام ؟ ولماذا يسمح لمن لا يخطئ بالحياة ؟ إنى أفترض أنه كان من الصواب أن الذين أخطأوا بالخطايا الثقيلة أن يعيشوا طويلا ليكون عقابهم أكبر ، اما الذين لم يرتكبوا أية جريمة فكان ينبغى أن

يحرروا من الجسد ، ولكن العكس هو الذى يحدث .. فالقاتل يعاقب بالموت أما البار فلا يعانى من شيئاً فى جسده ، لذك فإن حالة الوجود فى الجسد ليست عقاباً.

٦- لوكانت النفوس قد تجسدت بسبب الخطايا السابقة فكيف افادنا المخلص بابطال الموت؟ الاتكون هذه رحمة فاشلة.ولذلك يمكن ان نقول انه كان من اللائق ان نقدم الشكرللفساد وليس لمن اقامنا من الموت وبذلك جعل العذاب بلا نهاية بالقيامة من الموت لأن القيامة تصبح تجديدا للعقوبة .

٧- لوكانت النفوس قد لبست اجسادا بسبب خطايا سابقة فكيف يكتب بولس قائلا لنا:قدموا اجسادكم ذبيحة حية مقدسة مقبولة عند الله (رو ١٢ : ١)وكيف يكون هذا مقبولا عند الله وهو أداة للعقاب ؟ وكيف يكون من الممكن ان يقتنى إنسان فضيلة وهو مقيم فى أداة العقاب واصل الخطية ؟ .

٨- سأل التلاميذ مرة المخلص عن المولود اعمى وقالوا " يا معلم من أخطأ هذا ام ابواه حتى ولد أعمى (يو ٩ : ٢) ، لأنه مكتوب فى الاسفار النبوية ان الله يفتقد ذنوب الاباء فى الابناء (خر ٢٠ : ٥) ، وهو ما دعا التلاميذ إلى ان يتصوروا أن هذا الكلام ينطبق على المولود أعمى ، فماذا كانت اجابة المسيح ؟ لا هذا اخطأ ولا ابواه ، بل لكى تظهر أعمال الله فيه " (يو ٩ : ٣) ، فكيف أعفى المولود أعمى وابواه من الخطيئة ، وهم فى الواقع لا يمكن اعفاؤهم من اللوم الذى ينسب لكل حياة بشرية ، لأنهم كبشر كانت لهم أخطاؤهم ؟ ولكن من الواضح والظاهر ان كلمات المخلص تعنى الفترة قبل الميلاد — أى أنه لم يكن موجوداً ولذلك لم يخطئ ، وهذا وحده ما يجعل المسيح على حق .

٩- يقول سفر الامثال " وكل يوم كنت أفرح أمامه عندما فرح بكمال خلقة العالم ووجد لذته فى بنى البشر " (أم ٨ : ٣٠ -٣١ س). وحينما يفرح الله بإنتهاء خلقة العالم ويفرح بشكل خاص بخلق الإنسان ، فكيف لا يكون بلا ادراك من يحاول أن يخضع النفوس لخطايا سابقة جعلتها تسجن فى الجسد ؟ ألا يكون خالقاً لسجن وليس للعالم ؟ ألا يكون سرور مضاد للعقل فى انه يفرح بمجئ الذين أخطأوا لكى يعذبوا فى الجسد ، وكيف يكون صالحاً فى هذة الحالة . ولكن بكل يقين هو صالح وخالق السماوات ، ولذلك فإن الوجود فى الجسد ليس طبيعته عقاب .

١٠-لو كان الجسد هو بمثابة عقاب فلماذا جاء الطوفان على عالم الفجار (٢بط٢ : ٥). ونوح البار هو الذى خلص ونال مكافأته على إيمانه بالله ؟ ألم يكن الأفضل أن الذين هم

فى الشر يبقون فى الأرض ليعيشوا فترة أطول فى الجسد لكى يعاقبوا أكثر وبشدة ، أما الأتقياء الصالحون فيحلون من رباطات الجسد مكافآة لهم على مخافة الله ؟

١١- إذا كانت النفس قد نزلت الى الجسد كعقاب لها ، فكيف احب المخلص لعازر (يو ١١ :٣٦) وأقامه من الموت وبذلك أرغمه على العودة الى العقاب الذى تحرر منه بالموت ؟

١٢- إذا كان بحسب غباوة أولئك ، أن الجسد للنفس كعقاب ، وبسبب خطايا سابقة لخلق الجسد ، تكون الخطية هى التى أعطت طبيعة الأجساد . ولكن من الواضح أن الموت دخل بواسطة الخطية (رو ٥ : ١٢) وهذا يجعل الخطية تتسلح ضد نفسها وتحارب نفسها لأنها تهدم ما جاءت به فى البدء أى الجسد بما جاءت به بعد ذلك أى الموت . وهذا يصبح الشيطان منقسماً على نفسه ، فكيف تدوم مملكته ؟ (لو ١١ : ١٨) كما قال المخلص ؟

١٣- لقد خلق الله كل شئ فى عدم فساد وهو لم يخلق الموت ، بل " دخل الموت بحسد إبليس " (حكمة ١: ١٣ ، ٢ : ٢٤) . ولو صح أن الجسد أعطى ليكون عقاباً للنفس ، فلماذا نتهم الشيطان بالحسد ، لأنه حسب تعليم المخالفين يكون الشيطان خير عون لأنه ينهى شقاوة وعذاب الجسد بالموت ؟ ولماذا إذن نقدم الشكر للمخلص لأنه بالقيامة ربطنا بالجسد ؟ لأن حسد الشيطان هو الذى تسبب فى فساد أجسادنا . إذن لن يكون عقاباً بالمرة أن يكون لنا جسد ، كما أنه ليس أجرة خطايا سابقة .

هذا التعليم الذى قال به القديس كيرلس يوضح الفرق بين الفكر المسيحي ، والفلسفة اليونانية التى كانت تنظر للجسد كسجن للنفس ، وترى أن الخلاص يتحقق للنفس بتحررها من الجسد وانفصالها عنه ، بينما أن المسيحية ترد الخطايا إلى الإرادة البشرية وليس الى الجسد في طبيعته المادية ! فآدم كان له جسد قبل أن يخطئ ، ولم تكن خطيئته فى كون أن له جسد بل فى عصيان الله بارادته ، هذا فضلا عن أن السيد المسيح تجسد ، ولكن لم يكن فيه خطية البتة ، وقال : من منكم يبكتنى على خطية ؟ فالحية الفاضلة فى المسيحية لا تتحقق فى القضاء على الجسد ، بل إن الخطية هى عمل تشترك فيه الروح والجسد معاً ، وكذلك فإن الخلاص هو عمل إلهى تنعكس ثماره على الروح والجسد معاً ، ولذلك فالدينونة تتم بعد أن تلبس النفوس أجسادها ، فيحظى المخلصون بالنعيم للجسد والنفس معاً فى ملكوت السموات .

٢- خصائص الطبيعة البشرية

يقول القديس كيرلس :

+إن الكلمة هو مانح الحكمة التى فى الإنسان ، فليس هناك غنى خاص بالطبيعة المخلوقة ، بل كل مانراه فيها وكل ما يخصها هو بكل يقين من الله الذى يعطى الوجود ويحقق غاية الحياة

+ الإبن بالطبيعة هو النور الذى يختلط بنا عندما يمنح الاشتراك للكائنات المخلوقة فى النور لكى تستنير به . الخليقة تحتاج الى الذى ينيرها إذ ليس لها نور فى ذاتها . إن الكلمة يعطى نور الادراك لكل من يريد بعد أن يمتحن إستحقاقه لعطية الاستنارة الباهرة ، لأن الله الآب بالإبن فى الروح القدس هو كل شئ لكل أحد .

+ قال الإنجيلى " والنور يضئ فى الظلمة والظلمة لم تدركه (تعرفه) . و " الظلمة " هى الطبيعة التى تحتاج الى استنارة ، أى الطبيعة المخلوفة . ولأنه سمى الكلمة " النــور " فقــد أوضح أن الخليقة العاقلة التى تحتاج إلى الإستنارة هى مختلفة تماماً عن الكلمــة . وهنــا يستعمل الاسم الثانى للطبيعة العاقلة المخلوقة أى الظلمة كى يوضح الحقيقــة الأساسـية وهي ان يعلن ان الخليفه العاقلة بدون الطبيعة الإلهية هى ظلمة ، فهى عاجزة عن أن تلــد شيئاً من نفسها وبقدراتها ، وهى تدعى ظلمة لأنها مختلفة عن النور ، وطبقاً لما قيــل " أى شئ لك لم تأخذه " (١كو ٤ : ٧) هذه الطبيعة تنال مــن الله الاســتنارة ، دون أن يكون النور خاص بها من ذاتها ، وكل ما ليس من ذاتة نوراً ، كيف لا يكون العكس ، أو كيف لا يدعى " ظلمة " .

و" النور يضئ فى الظلمة " هو وصف معقول وضرورى يوضح لنا الفرق بــين الكلمــة والخليقة العاقلة . فالكلمة وحده هو النور والخليقة هى ظلمة . وعنــدما تقبــل الطبيعــة المخلوقة كلمة الله وتشترك فيها كنور ، فإنها ترى نفسها ظلمة ، فالإبن يشرق فيهــا أى يشرق مثل النور فى الظلمة ، ومع ذلك تظل الظلمة عاجزة عن ادراك النور . وهذا هــو معنى الكلمات "والظلمة لم تدركه (تفهمه) ." فالكلمة يشرق على كل الأشياء القــادرة على أن تستقبل إشعاعه وإنارته ، وينير بدون إستثناء الأشياء التى لها طبيعة مستقبلة لإنارته . ولكن الإبن الكلمة غير معروف عند الظلمة لأن المخلوق العاقل لم يعرف الخالق ينبوع الحكمة بدء الفهم وأصل كل حسن . ومع ذلك فالأشياء المخلوقة تنال النور مــن محبتــه للبشر وتزود بالقدرة على الإحساس التى تزرع فيها منذ خلقتها .

+ ومع أن المعمدان وباقى القديسين يمكن أن يقال أنهم نور ، وهذا لا ننكره لأن المخلص نفسه قال عنهم " أنتم نور العالم ، " مت ٥ : ١٤) وايضاً قيل عن يوحنا المعمدان " لقد

أقمته سراجاً " (يو ٥ : ٣٥) ومع أن القديسين يقال عنهم أنهم نور ، ويوحنا سـراج ، فإننا لا نجهل النعمة التى نالوها من النور " لأن النور فى السراج وليس من الـسراج ، ولا نور القديسين هو من القديسين بل باستنارة الحق ، صاروا " أنواراً فى العـالم متمـسكين بكلمة الحياة (فى ٢ : ١٥ ، ١٦) . وما هى الحياة التى يتمسكون بكلمتها والتى جعلتهم يوصفون بالنور ؟ أليست بالحق هى الإبن الوحيد الذى قال " أنا الحياة " . وحقاً ، واحد هو النور الحقيقى الذى ينير ولا يستنير والذى كل من يشترك فيه ويتشبه بـه يمكـن ان يدعى نوراً . ويجب أن يميز بين ماهو بالطبيعة وماهو بالنعمة . بين المصدر الذى يـشترك فيه الكل والمشتركين فيه . بين الواهب الذى يعطى من عنده والذين يأخذون من الغـنى الوافر . وإذا كان الإبن هو النور الحقيقى فليس أحد غيره هو النور حقاً . فلا يوجد مـن يملك إمكانية أن يصبح النور . ولا يمتلك الكائنات أن تعطى من طبيعتها النـور ، لأنهـا خلقت من العدم ولا تستطيع أن تجود بما لا تمتلك . فمن كان أصله العـدم لا يمكـن أن يجود وإنما ينالون أشعة النور الحقيقى الذى يشع فيهم عندما يشتركون فى الطبيعة الإلهية (٢ بط ١ : ٤) وعندما يتشبهون بالطبيعة الإلهية يدعون نوراً ويصيرون نوراً .

+ لو كانت الخليقة كلها تملك القدرة على ان تكون " النور الحقيقى " فلماذا يعطى هذا اللقب للإبن وحده ؟ لو كان الإبن الوحيد ليس هو وحده النور الحقيقى ، بل تـشاركه المخلوقات فى هذا ، فكيف " ينير لكل إنسان ؟ . لو كانت المخلوقات تمتلك هـذا لمـا احتاجت إلى أن تستنير بالإبن . حقاً هو النور الذى يشترك فيه الكل . إن الإنسان يحتاج الى النور لأنه مخلوق ، وحقاً صرخ المرنم فى المزامير " لأنك أنت تضئ سراجي الرب إلهى ينير ظلمتى " (مز ١٨ : ٢٨) . إذن نحن لسنا النور الحقيقى وإنما نحن بالحرى مشتركون فى الكلمة الذى ينير . إذا كان عقل الإنسان يدعى سراجاً وهو ما يشير إليه المزمور " أنت تضئ سراجى " فكيف يقال عنا أننا نحن النور الحقيقى ؟ لأن السراج يحصل على نوره من مصدر اخر.

+ كل ماهو بالطبيعة ونابع منها هو ملك لها ، أما الأشياء التى تختارها الإرادة فهى ليست أصلا ملكاً لها ، وكمثال لذلك : ليس بالإرادة الذاتية يستطيع الإنسان أن يصبح إنـساناً عاقلا لأنه يكون له ذلك بالطبيعة . ولكن متى يكون إنساناً يمكنه بإرادته الخاصة ان يكون صالحاً أو شريراً . فالإرادة قادرة على أن تجعل الإنسان يحب الصلاح أو العكس . فـإذا

كانت المخلوقات هى النور بطبيعتها لأن هذا هو معنى " الحقيقي " فكيف لا تأتى الي النور ؟ وكيف تحب الظلمة ؟ . فالواضح أنها بطبيعتها ليست النور الحقيقي بل تصير نورا باختيارها إن كانت تميل إلى النور أو العكس برفضها للنور .

+مهما كانت الخيرات التى فى المخلوقات ، فهى بكل يقين من الله ، لكى لا تفتخر الطبيعة الإنسانية بما لديها من خيرات ، ولا حتى الملائكة القديسين . ونحن نؤكد هنا وعلى أساس ثابت أن أى صلاح أو خير فى الموجودات ليس فيها من جوهرها بل ليس إلا نعمة مجانية من الخالق والكل يبنى على نعمة الصانع . لقد دعينا الهة فى الأسفار الإلهيه حسب المكتوب " ألم أقل أنكم الهه وبنو العلى كلكم " (مز ٨٢ : ٦) . هل يعنى هذا أن نتخلى عن كياننا ونرتفع إلى جو اللاهوت غير المنطوق به ، وأن نخلع الإبن الكلمة من بنوته ونجلس نحن فى مكانه مع الآب ونجعل محبة الذى أكرمنا عذراً للكفر ؟ حاشا لله . نحن بالتبنى صرنا ابناء وآلهة بالنعمة ، غير جاهلين من نحن .

+ان الكلمة الذى من الله الآب ينير كل انسان آت الى العالم ، ليس بالتعليم مثلما يفعل الملائكة أو البشر ، وإنما كإله خالق يضع فى كل المدعوين إلى الوجود بذرة الحكمة أو بذرة المعرفة الإلهية ، ويزرع جذر الفهم ، مرسلاً إلى العقل أشعة نور من هالة غير المدرك بشكل يعرفه هو وحده . وحتى ابونا الأول آدم نال الحكمة فوراً وبدون أن يتعلم فى مرحلة من الزمن مثلنا ، بل منذ بداية وجوده وكانت له معرفة كاملة واحتفظ لنفسه بالنور الذى أعطاه الله دون إنزعاج وبنقاوة ، طالما احتفظ بكرامة طبيعته غير مدنسة وغير مختلطة .عندما قال الرسول يوحنا " كان النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان ، آتياً إلى العالم " ، لم يكن هذا واضحا للسامعين ، هل هذا النور هو الذى ينير كل إنسان آت إلى العالم " أم أنه النور الحقيقي ينتقل من مكان إلى مكان لكى ينير لكل إنسان . ولذلك فإن يوحنا (اللابس الروح) يعلن الحق ويشرح قوة الكلمات التى نطقها ويقول على الفور " النور كان فى العالم " لكى نفهم أن عبارة " آت إلى العالم " تعنى عالم الإنسان لكى ينير الطبيعة المخلوقة العاقلة التى تدعى من العدم إلى الوجود .

فالطبيعة المخلوقة ليست مثل مكان نتخيله فى الفكر ، بل هى تأتى من العدم الى الوجود وتاخذ حيزا فى الواقع . ولذلك عند الكلام عن الانسان علينا ان نعتقد بثقة أن طبيعة الإنسان المخلوقة نالت الاستنارة بمجرد خلقها وانها نالت من النور الذى فى العالم ، أى الابن الوحيد الذى يملأ كل الاشياء بنور اللاهوت غير المدرك . لأن يد الله تمسك بكل

شئ ، بجميع المخلوقات فى الخليقة كلها ، وتعطى حياة لمن يحتاج الى الحياة ، وتزرع النور الروحى فى الكائنات القادرة على أن تتقبل الفهم

٣- الطبيعة الساقطة

+ عندما يشرح القديس كيرلس عبارة القديس يوحنا " والعالم لم يعرفه " ، يقول : الإبن ينير ، والخليقة تبعثر النعمة . لقد أعطى الكلمة للخليقة النظر لكى تدركه كإله بالطبيعة ولكن الخليقة بددت العطية وجعلت الكائنات حاجزاً يمنعها عن تأمل الله و لم تتأمل إلا ذاتها . ودفنت عطية الإستنارة تحت الإهمال " فأهملت الموهبة " التى حذر بولس تلميذه من أن يهملها ، بل أن يكون صاحياً (١تى ٤ : ١٤ ، ٢تى ٤ : ٥) ، فليس النور هو المسئول عن مرض غير المستنيرين ، لأنه كما يشرق نور الشمس على الكل ولا يستفيد منه الأعمى دون أن نلوم الشمس وإنما نلوم المرض الذى أصاب العينين ، هكذا أنار الكلمة ولكن الخليقة المريضة لم تتقبل النور . هكذا النور الحقيقي الإبن الوحيد الذى ينير الكل لكن " إله هذا الدهر " كما يقول بولس " أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا يضئ لهم نور معرفة الله ويشرق عليهم (٢كو ٤ : ٤) . وعندما نقول أن الإنسان أصيب بالعمى إلا أنه لم يصل الى العمى الكامل او الحرمان الكامل من النور .والإنسان يطفئ النور بالحياة الفاسدة التى عاشها وذلك عندما تحول إلى الجانب المضاد لله فأضاع النعمة وفقدها . ولذلك عندما يقدم لنا المرنم الحكيم مثال الذين فقدوا النعمة فإنه يترجى الإستنارة من الله " إفتح عينى لكى أرى عجائب من شريعتك " (مز ١١٩ : ١٨) لأنه أعطاهم الناموس معيناً (أنظر أش ٨ : ٢٠ س) وهذا أشعل النور الإلهى فينا من جديد ونظف عينى القلب من الظلمة التى جاءت من الجهل القديم الذى ولد بسبب الإبتعاد عن الله .

+العالم فى الحقيقة محكوم عليه بتهمة عدم الشكر وعدم إدراك خالقه . وأيضاً لأنه لا يقدم الثمار الصالحة النابعة من الإستنارة . وهذة الحقيقة يعبر عنها النبى عندما رتل هذة الفقرة عن بنى إسرائيل " ونظرت لكى يثمر عنباً ولكنه أثمر عنباً رديا وشوكاً " (إش٥ : ٤ س) (ص ١٢٠ وما بعدها) .

+ وعندما يشرح القديس كيرلس عبارة القديس يوحنا " والكلمة صار جسداً " ويقول : الإنسان مخلوق عاقل ومركب من النفس ومن جسد ترابي قابل للفناء .

+ وعندما خلق الله الإنسان ، أتى به من العدم إلى الوجود ، دون أن يكون فى طبيعة الإنسان عدم فساد أو عدم فناء (لأن هاتين الصفتين من صفات الله وحده) . ولكن الإنسان ختم بروح الحياة فنال الإنسان بذلك الصلاح الذى يفوق الطبيعة الإنسانية ،

ولذلك قيل إن الله نفخ فى أنفه نسمة حياة ، فصار الإنسان نفساً حية " (تك ٢ : ٧) . وعندما عوقب الانسان على معصيته قيل له بالحق " تراب أنت الى تراب تعود " (تك ٣ : ١٩) . فتعرى عن النعمة أى نسمة الحياة أى روح ذاك الذى يقول " أنا هو الحياة " ففارق الروح القدس الجسد الترابي وسقط الانسان فريسة للموت أى موت الجسد وحده. أما النفس فلم تفقد عدم الموت ، لأنه عن الجسد وحده قيل " تراب أنت والى التراب تعود " . ولذلك كانت الحاجة ماسة إلى أن الذى فينا والذى صار فى خطر دائم وتحول إلى الإنحلال أن يتحد بقوة ، وأن يتم نسجه من جديد بنسيج الحياة القادرة بطبيعتها على عدم الموت . وكانت الحاجة إلى رفع عقوبة " تراب أنت وإلى التراب تعود " أن يتحد الجسد بشكل فائق بالكلمة الذى يحى الكل . وعندما يصبح الجسد ، جسد الكلمة ، فإنه يشترك فى عدم الموت الخاص بالكلمة . ولانه من غير المعقول بالمرة ، أن النار التى لها قدرة وحرارة ذاتية على أن تحول الخشب الى نار ، تقف قدراتها ولا يمتد تأثيرها على الخشب. وهذا يعنى أننا نتمسك بأن الكلمة الذى هو فوق الكل قد أعطى الجسد من صلاحه أى الحياة فلم يكتف بتحديد النفس فقط (ص ١٢٩ وما بعدها) .

٤- غنى الطبيعة البشرية فى المسيح

فى شرحه للانجيل حسب القديس لوقا ، يقول القديس كيرلس :

+ إن طبيعة الإنسان فى المسيح هى حرة من أخطاء شراهة ادم ، فعن طريق الاكل إنهزمنا فى آدم وبواسطة الصوم إنتصرنا فى المسيح . بواسطة الطعام الذى يخرج من الأرض ، يتقوى جسدنا الارضى ويسعى الى الحصول على غذائه مما هو مجانس له ، أما النفس العاقلة فإنها تتغذى وتنمو إلى الصحة الروحانية بواسطة كلمة الله . لأن الطعام الذى تقدمه الأرض يغذى الجسد الذى هو قريب لها أما الطعام الذى من فوق ومن السماء فيقوى الروح ويشددها .طعام النفس هو الكلمة الآتية من الله أى الخبز الروحانى الذى يقوى قلب الإنسان " (الجزء الأول ص ٨٧ ، ٨٨) .

+ تعالوا نسأل : ماذا رأت أعيننا ؟ إنها رأت الله الكلمة الذى كان فى صورة الله الآب ، وقد صار جسداً لأجلنا . إنها أبصرت ذلك الذى هو شريك عرش الآب ، ساكناً فيما بيننا وفى شكلنا ، لكى بالتبرير والتقديس يشكلنا على شبهه ويطبع علينا جمال الوهيته بطريقة عقلية وروحية . وعن هذا يشهد بولس ويكتب " وكما لبسنا صورة الترابي هكذا نلبس صورة السمائى " (١كو ١٥ : ٤٩) . والرسول يقصد بصورة الترابى آدم الذى خلق أولا . ويقصد بالسماوى الكلمة الذى هو من فوق ، الذى أشرق من جوهر الله

الآب ، ولكنه صار مثلنا . فالذى هو بالطبيعة ابن ، أخذ شكل العبد ، ولكنه لم يأخذ حالتنا لكى يستمر فى وضع العبودية ، بل لكى يعتقنا نحن الذين ربطنا بنير العبودية، لأن [illegible]

كل ما هو مخلوق هو بالطبيعة عبد ، ولكى يغنينا بما له . [illegible] فقرنا ليرفع طبيعة الإنسان الى غناه ، وذاق الموت على خشبة الصليب ليرفع من الوسط الاثم الذى ارتكب بسبب شجرة المعرفة ، وليمحو الاثم الذى نتج عن ذلك ، وليرفع من الموت طغيانه علينا (الجزء الثانى ص ١٤٤ ، ١٤٥) .

وفى شرحه للإنجيل حسب القديس يوحنا يقول القديس كيرلس :

+ الإبن وحده هو الذى يعطى ما يخص طبيعته ليكون فى سلطانهم (أى الأمم) جاعلاً ما يخصه مشتركاً وعاماً بينهم ، ليكون هذا صورة طبيعة محبته للبشر وللعالم . وليس هناك وسيلة أخرى غير هذه تجعلنا نحن الذين لبسنا " صورة الترابى " نهرب من الفساد ، إلا إذا ختمنا بجمال صورة السمائي (١كو ١٥ : ٤٩) بدعوتنا إلى البنوة ، لأننا عندما نشترك فيه بالروح القدس نختم لنكون مثله ونصعد إلى الصورة الأولى التى أخبرتنا الكتب المقدسة بأننا خلقنا عليها (تك ١ : ٢٧) وبذلك نكون قد إستعدنا جمال طبيعتنا الأولى وخلقنا من جديد لنكون على مثال الطبيعة الإلهية ، ونصير مرتفعين فوق الأمراض التى أصابتنا بسبب السقوط . إذن نحن نرتفع الى كرامة أسمى من طبيعتنا بسبب المسيح لأننا سنكون أيضاً أبناء الله " ليس مثله تماماً ، بل بالنعمة والتشبه به ، فهو الابن الحقيقي ، الكائن مع الآب منذ الأزل ، اما نحن فبالتبنى بسبب تعطفه . ومن خلال النعمة التى أخذناها " أنا قلت أنكم آلهه وكلكم أبناء العلى " (مز ٨٢ : ٦) . فبالطبيعة المخلوقة الخاضعة للخالق دعيت إلى ماهو فوق الطبيعة بإرادة الآب فقط . أما الإبن والإله والرب فهو ليس الإبن والإله بإرادة الآب واختياره ، وإنما بالولادة من جوهر الآب ذاته يصبح له كل صفات الله وصلاحه . وأيضا يمكننا أن نرى بكل وضوح أنه الإبن الحقيقى بالمقارنة مع أنفسنا فهو بالطبيعة له كيان خاص غير كياننا الذى بالتبنى وبالتشبه . إذن هو الإبن بالحق والطبيعة ونحن صرنا به أبناء أيضا وننال الخيرات بالنعمة دون أن نكون هذه الخيرات هى من طبيعتنا (الجزء الأول ص ١٢٤ ، ١٢٥) .

+ إن الذين دعوا الى الايمان بالمسيح للتبنى يخلعون صغر طبيعتهم ، و إذ يتزينون بنعمة ذاك الذى أكرمهم بلباس فائق أن يرتفعوا إلى كرامة تفوق الطبيعة ، فهم لم يعودوا بعد أبناء اللحم ، بل بالحرى أولاد الله بالتبني فنالوا ما لم يكن لهم من قبل بواسطة التبنى . وبدون خوف يضيف الإنجيلى " ولدوا من الله " لكى يوضح عظيم النعمة التى أعطيت لهم والتى جمعت كما لو كان فى طبيعة متجانسة ذاك الذى كان غريباً عن الله الآب ، وترفع العبد إلى كرامة سيده بواسطة محبة السيد للعبد (ص ١٢٥ ، ١٢٦) .

+ ومن أجل منفعتنا يقول إن الكلمة سكن فينا لكى يرفع الحجاب عن السر العميق ، لأننا نحن جميعاً فى المسيح . والجماعة المشتركة فى الطبيعة الإنسانية ارتفعت إلى شخصه وهو ما جعله يدعى " آدم الثاني " (كو ١٥: ٤٥) واهبا بغنى للطبيعة الانسانية المشتركة كل ما يخص الفرح والمجد ، كما أعطى ادم الاول كل ما يخص الفساد والغم . إذن الكلمة سكن فينا أى فى الكل أى بالواحد الذى " أعلن إبن الله بالقوة حسب روح القداسة " (رو ١ : ٤) ، لكى ينال الكل هذه الكرامة ، ويصبح هذا ميراث الطبيعة الإنسانية ، وبسبب واحد منا يتم القول : أن قلت أنكم اهه وبنى العلى كلكم " وحقاً فى المسيح صار العبد حراً وارتفع إلى الاتحاد السرى بذلك الذى أخذ " صورة العبد " (فى ٢ :٧) وصار فينا حسب شبه الواحد المسيح بسبب قرابته لنا بالجسد ، مانحاً ذاته لنا لكى بفقره نصير أغنياء (٢كو ٨ : ٩) ونرتفع الى فوق ، إلى شبهه ، أى شبه صلاحه ، ونصير ابناء الله بالإيمان . ويتم ذلك لأن الذى هو بالطبيعة الإبن وهو الله سكن فينا ولذلك نصرخ بروحه " أباً أيها الآب " (رو ٨ : ١٥) وسكن الكلمة فى هيكل واحد واحد أخذه منا ولأجلنا وصار مثل الكل ، لأنه عندما احتوى الكل فيه استطاع ان يصالح الكل فى جسد واحد " مع الآب ، كما يقول بولس (أف ر٢ : ١٦ – ١٨) . (ص ١٣١ ، ١٣٢) .

+ نحن جميعاً الذين كتبت أسماؤنا فى عداد القديسين ، نحن نأخذ من ملئه ، والطبيعة الإنسانية التى وجدت أنها تحتاج إلى كل شئ تأخذ من ملئه . من ملء الابن كما من الينبوع الأصلى . وعطية النعم الإلهية تتدفق على كل نفس تستحق أن تأخذ . وهكذا تعطى نعم الله للمخلوقات التى ليس لها أى شئ من ذاتها ولكنها تغتنى من سخاء الذى يعطى (ص ١٣٨) .

+ تأمل كيف جاء الإبن كلمة الله وسكن بيننا لكى نكون نحن مثله على قدر ما تحتمل طبيعتنا أن تأخذ منه فى نعمة الخلق الجديد . لقد إتضع هو لكي يرفع ماهو أصلا وضيع إلى مقامه العالى . ولبس شكل العبد رغم أنه بالطبيعة الرب وابن الله لكي يرفع من بالطبيعة مستعبد إلى كرامة البنوة وسموها جاعلاً إياها على صورته ومثاله . كيف وبأى معنى ؟ عندما صار إنساناً مثلنا جعلنا مثله . وعندما أخذ صفاتنا وكل ما يخصنا أعطانا عوضاً عنها كل ما له . نحن بالمقام وبالطبيعة عبيد لأن المخلوقات خاضعة لخالقها ولكن دعانا إخوته وجعل الله الآب هو الآب المشترك له ولنا ، وقد تحقق هذا عندما إتخذ الطبيعة الانسانية وإتحد بها وجعلها له . وعندما إتحد بشكلنا دعى الله ، الهنا نحن " إلهى " رغم أنه بالطبيعة ابننا ، ولكنه فعل ذلك لكى نصعد نحن إلى كرامته العالية بالتشبه به ، ليس لأننا بالطبيعة إبناء الله ، بل لأننا دعينا من قبله إلى البنوة ، وهو نفسه يصرخ فى قلوبنا بروحه " أباً أيها الآب " . الإبن نزل إلينا وحصل على ذات طبيعتنا ، عندما تجسد فأعطى لطبيعتنا

المقام الفريد الذى يخصه هو بشكل خاص ، ودعا الآب ، المولود هو منه ، اب مشترك له ولنا (الام المسيح وقيامته فى انجيل يوحنا للقديس كيرلس الإسكندرى – تفسير الأصحاحات ١٨ -٢١ – ترجمة دكتور جورج بباوى ١٩٧٧ ص [illegible] .

+ عندما سقط الانسان بعصيانه واستبعد لقوة الموت وفقد كرامته القديمة أعاده الله الآب وجدده إلى الحياة الجديدة بالإبن كما كان فى البدء . وكيف جدده الإبن ؟ بموته بالجسد ذبح الموت، وأعاد الجنس البشرى إلى عدم الفساد ، عندما قام من الموت لأجلنا . ولكى نعلم أنه هو هو الذى فى البدء خلقنا وختمنا بالروح القدس ، لذلك يمنح مخلصنا الروح القدس من خلال العلامة المنظورة " أى " نفخته " للرسل القديسين لأنهم باكورة الطبيعة البشرية المجددة . وكما كتب موسى عن الخلق الأول أن الله نفخ فى أنف الإنسان نسمة الحياة ، يحدث نفس الشئ الذى حدث فى البدء عندما يجدد الله الإنسان ، وهوما يسجله يوحنا . وكما خلق الإنسان فى البدء على صورة خالقه ، كذلك الآن ، بالروح القدس يتغير إلى صورة خالقه ويصبح على مثاله . ولا يوجد لدينا أدنى شك فى أن الروح القدس هو الذى يختم صورة المخلص على قلوب الذين يقبلون المخلص .؟ وهذا واضح تماماً من تحذير بولس للذين سقطوا فى ضعف التمسك بالناموس عندما قال " يا أولادى الصغار أنتم الذين أتمخض بهم مرة ثانية إلى أن يتكون المسيح فيكم " (غلا ٤ : ١٩) ، وهو يقول إن المسيح لن يتكون فيهم إلا بالروح القدس وبالحياة حسب شريعة الإنجيل (المرجع السابق ص ١٣٣) .

وفى رسالته إلى زهبان مصر ، يقول القديس كيرلس :

+لأنه كواحد منا ، رغم أنه لم يعرف الموت ، نزل إلى الموت ، بواسطة جسده الخاص ، لكى نصعد نحن أيضاً معه الى الحياة . لأنه عاد إلى الحياة ثانياً سالباً الجحيم ، ليس كإنسان ما ، بل كالإله بالجسد بيننا وفوقنا . إن طبيعتنا إغتنت جداً بالخلود فيه هو أولاً ، وسحق الموت حينما هجم العدو على جسد الحياة ، لأنه كما أن الموت قد إنتصر فى ادم ، هكذا أيضاً قد إنهزم فى المسيح . والمرنم الموحى له ، كرس ترانيم النصر له فى صعوده لحسابنا ولأجلنا ، إلى الله الآب فى السموات لكى تظهر السماء أنها يمكن الوصول إليها بالنسبة لأولئك الذين على الأرض (رسائل القديس كيرلس – الجزء الثانى – ص ٢٦) .

سادساً : إمتيازات العهد الجديد

نتناول الحديث فى هذا المجال عن النقاط الثلاثة التالية :

١- العهد القديم والعهد الجديد كتاب واحد .

٢- العهد القديم يتضمن رموزاً تشير إلى العهد الجديد .

٣- ما تميز به العهد الجديد .

١-العهد القديم والعهد الجديد كتاب واحد .

فى شرحه لمثل السامرى الصالح ، يقول القديس كيرلس عمود الدين :

الديناران هما العهدان : العهد الذى أعطى بناموس موسى وبالأنبياء ، والعهد الذى أعطى بالأناجيل وبتعاليم الرسل . والعهدان هما لإله واحد يحملان صورة واحدة للملك السماوى الواحد ، مثل الديناران ، حيث إن الروح الذى تكلم فى العهدين واحد .

إذن فإن الكلمات المقدسة التى للعهدين تختم على قلوبنا نفس صورة الملك وتطبعها .وهذا عكس ما نادى به مانى وماركيون اللذان قالا إن إله العهد القديم غير إله العهد الجديد . فواحد هو الملك المطبوع صورته على الدينارين . ومثلما أعطى صاحب الفندق الدينارين ، هكذا أعطى المسيح العهدين لرعاة الكنائس المقدسة ، وهم أضافوا عليهما الكثير باتعابهم وجهدهم لنشر التعليم . هذه هى النقود التى تنفق دون أن تنقص ، بل على العكس تزيد ، مما يبين أنها فى الحقيقة كلمة التعليم الإلهى . (لوقا – الجزء الثانى – ص ١٥٤).

٢- العهد القديم يتضمن رموزا تشير إلى العهد الجديد .

فى شرحه لمثل السامرى الصالح ، يخاطب القديس كيرلس الناموسى الذى أراد أن يجرب السيد المسيح ويقول له :

إن عمانوئيل قد رسم (بضم الراء) لك بطرق مختلفة من خلال الظلال الموسوية . لقد رأيته هناك كحمل يذبح ، لكنه يقهر المهلك ويبيد الموت بدمه . إنك رأيته أثناء إعداد التابوت الذى أودعت فيه الشريعة المقدسة ، لأنه كان فى جسده المقدس كما فى التابوت ، إذ هو كلمة الآب ، الإبن المولود منه بالطبيعة . لقد رأيته ككرسى الرحمة فى الخيمة المقدسة والذى حوله وقف الشاروبيم ، لأنه هو كرسى رحمة لغفران خطايانا ، بل وحتى كإنسان ، فإن السيرافيم الذين هم القوات العقلية والمقدسة تمجده ، لأنهم قائمون حول عرشه الإلهى . إنك رأيته كالمنارة ذات السرج السبعة فى قدس الأقداس ، لأنه المخلص

ويفيض نوره بوفرة لمن يسرعون إلى المسكن الداخلى . إنك رأيته كالخبز الموضوع على
[illegible] السماء المعطى حياة للعالم (يو ٦ : ٥٢) .

[illegible]

الماثلة ، لأنه هو الخبز الحى الذى نزل من السماء [illegible]
إنك رأيته كالحية النحاسية التى رفعت عالية كعلامة ، ومن ينظر إليها كان يشفى من لدغات الحيات . إنه كان مثلنا فى الهيئة التى تبدو كما لو كانت خاطئة إذ أخذ شبهنا ، إلا أنه بالطبيعة صالح وسيبقى على ما كان عليه . فالحية هى مثال الشر ، ولكنه برفعه واحتماله الصليب لأجلنا ، فإنه أبطل لدغات الحية العقلية ، التى هى ليست إلا الشيطان والقوات الشريرة التى تحت إمرته (لوقا — الجزء الثانى — ص ١٤٩ — ١٥٠) .

وفى حديثة عن عيد الختان ، يقول القديس كيرلس :

ولكن بعد ختانه أبطل طقس الختان بمجئ ما كان يرمز له وأعنى به ، المعمودية . ولهذا السبب ، فإننا لم نعد نختتن . لأنه يبدو لى ان الختان قد حقق ثلاثة اغراض :
فأولا : أنه أفرز نسل ابراهيم بنوع من العلامة والختم ، وميزهم عن بقية الشعوب . وثانياً : أنه كان يشير مقدماً إلى نعمة وفاعلية المعمودية الإلهية ، لأنه كما كان فى القديم ، يحسب المختون ضمن شعب الله بواسطة ذلك الختم ، هكذا أيضاً فإن من يعتمد يندرج ضمن عائلة الله بالتبنى ، إذ قد تصور فى نفسه المسيح الختم . وثالثاً : انه رمز للمؤمنين حينما يتأسسون فى النعمة ، حينما يقطعون ويميتون شغب اللذات الجسدية والشهوات ، بسكين الإيمان الحاد وبأعمال النسك ، وهم لا يقطعون الجسد ، بل ينقون القلب ويصيرون مختونين بالروح وليس بالحرف ، الذى مدحه ليس من الناس بل من فوق كما يشهد بولس الإلهى (رو ٢ : ٢٩) — (شرح لوقا — الجزء الأول ص ٤١ — ٤٣) .

ويقول القديس كيرلس فى شرحه للأصحاح الثانى عشر من الإنجيل للقديس لوقا :

ولهذا يقول لهم " ويل لكم أيها الناموسيون لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة ". ونحن نعتقد أن المفتاح المعرفة يقصد به الناموس نفسه . لأنه رغم أن الناموس كان فى ظل ومثال ، إلا أن هذه الرموز ترسم لنا الحقيقة . وتلك الظلال تصور لنا بر المسيح بطرق متنوعة .كان يقدم حمل ذبيحة بحسب ناموس موسى ، وكانوا يأكلون لحمه ويدهنون القائمتين بدمه ، وهكذا كانوا يغلبون المهلك . ولكن بمجرد دم خروف لا يمكن أن يبعد الموت . إنه المسيح إذن كان هو المشار اليه بمثال فى شكل حمل هو الذى احتمل أن يكون ضحية عن حياة العالم وأن يخلص بموته اولئك الذين يشتركون فيه .
لذلك كان يجب على أولئك الذين يدعون ناموسيين بسبب دراستهم لناموس موسى ، ان يفتحوا أبواب المعرفة لجماهير اليهود ، لأن الناموس يوجه الناس إلى المسيح ، والاعلانات

المقدسة التي للأنبياء القديسيين تقود للتعرف عليه ، الناموس سر المسيح ونمسك بكلمات الأنبياء القديسين لتثبت معرفتنا به . وهذا أيضاً ما علمنا به تلميذه بقوله (وعندنا الكلمة النبوية وهى أثبت ، التي تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها كما الى سراج منير فى موضع مظلم (تفسير إنجيل لوقا للقديس كيرلس السكندرى – الجزء الثالث – ترجمة الدكتور نصحى عبد الشهيد – مركز دراسات الاباء – ١٩٩٦ – ص ١٠٠ – ١٠٥)

٣– ما يتميز به العهد الجديد.

مما قاله القديس كيرلس فى امتيازات العهد الجديد:

+ قال الله بواسطة أشعياء " وأقطع لك عهداً أبدياً ، مراحم داود الصادقة ، هوذا قد جعلته شارعاً للشعوب ، رئيساً وموصياً للشعوب " (أش ٥٥ : ٣، ٤) ، لأنه كان من الملائم ان موسى كعبد يصير خادماً للظل الذى لا يستمر ، ولكنى (والكلام للقديس كيرلس) أؤكد أن المسيح كان هو المعلن الابدى لعبادة باقية لا تزول . ويعنى بالعهد الأبدى ، كلمات المسيح المقدسة ، الذى هو من نسل داود حسب الجسد ، وكلماته تنشئ فينا قداسة وثقة ، كما أن مخافة الله نقية لأنها تجعلنا أنقياء ، وكلمة الانجيل هى حياة لأنها تنشئ حياة ، لأنه هو نفسه يقول " هوذا قد جعلته شارعاً للشعوب " أى أن يشهد لهم أن هذه الأمور مقبولة . ولكى لا يتصور أحد أنه واحد من الأنبياء القديسين بل لكى يعلم كل البشر بالحرى أنه يضئ بمجد الربوبية – إذ لكونه الله فقد ظهر لنا – وهكذا يواصل القول ، ليس فقط أنه جعل شارعاً أو شاهداً ، بل أيضاً رئيساً وموصياً للشعب . لأن الأنبياء المباركين وموسى قبلهم ، إذ كانوا فى مترله العبيد والخدام فإنهم كانوا يقولون لسامعيهم " هكذا يقول الرب " لا كمن يعطون وصايا وأوامر ، بل كخدام للكلمات الإلهية . أما ربنا يسوع المسيح فإنه تكلم كلمات تليق بالله جداً . ولذلك كان اليهود بأنفسهم يدهشون ويتعجبون منه – لأن كلمته كانت بسلطان ولأنه كان يعلمهم كواحد له سلطان ، وليس مثل كتبتهم ، لأن كلمته لم تكن عن ظل الناموس ، بل لكونه هو معطى الناموس ـــ فقد حول الحرف إلى الحق ، والرموز حولها إلى معانيها الروحية ، لأنه كان رئيساً وحاكماً – كان يملك سلطان الحاكم أن يأمر ويوصى (لوقا – الجزء الأول – ص ١٠٣ ، ١٠٤) .

+ **وفى شرحه لعبارة " ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا " يقول القديس كيرلس :**

هنا يصادق الانجيل على شهادة المعمدان الصادقة ، ويضم صوته إلى صوت المعمدان بان المخلص اعظم وأسمى من كل المخلوقات فى المجد الذى يتكلم عنه ، والخيرات الأخرى

التى تاتى منه . لأننا نحن جميعاً الذين كتبت أسماؤنا فى عداد القديسين ، نحن ناخذ من ملئه ، والطبيعة الإنسانية التى وجدت أنها تحتاج إلى كل شئ تأخذ من ملئه (إنجيل يوحنــا — ا

الجزء الأول — ص ١٣٨) .

+ وفى شرحه لقول الإنجيلى " ونعمة فوق نعمة لأن الناموس أعطى بموسى ، أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا" ، فيقول القديس كيرلس :

بعد أن قال الإنجيلى أن مجد الإبن الوحيد صار لا معاً اكثر من شهرة أى إنسان بين بــنى البشر ، يقدم لنا القداسة الفائقة التى لا يمكن مقارنتها بأى من القديسين ، ويقدم دراســة خاصة بهذة النقطة بالذات بمقارنة المسيح بمن عرفوا بالفضائل . لقد قال المخلص عن يوحنا المعمدان : الحق أقول لكم ، لم يقم بين المولدين من النساء أعظم من يوحنــا المعمــدان (مت ١١ : ١١). ولكن هذا الرجل العظيم ، يشهد الآن " الذى جاء بعدى ، كان قبلى " وحيث أن مجد يوحنا اقل ، فإنه أعطى المجال لمجد الابن الوحيد . فكيف لا نفتــرض أن كل القديسين قد أفسحوا المجال بمجد الابن الوحيد ، فليس واحد منهم له ذات مجد المسيح المخلص الذى يظهر فى أعمالهم . ولما كان القديسون الذين عاينوا الظهور الإلهى فى الجسد أقل بكثير ولا يمكن مقارنتهم بالإبن ، ولاحق يوحنا المعمدان الذى نال اعظم شهرة ولا يتجاسر على مقارنه ذاته بالإبن الوحيد ، بل ختم شهادته الحقة معلنا أنه " أقل فى كــل شئ " . وحيث إنه من الضرورى أن يظهر عمانوئيل أعظم وأقوى وأفــضل مــن كــلِ القديسين ، إحتاج الإنجيلى أن يقدم رئيس الأنبياء موسى الذى جاء الله وإليه وظهر له اولا والذى قيل عنه " أنا لا اعرفك أكثر من الباقين ، لأنك وجدت نعمه فى عينى (خر ٣٣ : ١٢) . فالله عرفه قبل الباقين ، كما يظهر فى قول الله نفسه " إن كان منكم نبى للــرب فسوف أظهر له فى رؤيا وأتكلم معه فى حلم ، أما عبدى موسى فليس كذلك لأنه أمــين على كل بيتى ومعه أتكلم فماً لفم وعياناً لا بالألغاز " (عدد ١٢ : ٦-٨) . ولما كــان لموسى هذا المجد العظيم الذى فاق كل مجد القديسين حتى الذين سبقوه ، يقدمه الإنجيلــى إلينا أنه متقدم فى كل شئ (كو ١: ٨) ، ولذلك يسجل الإنجيلى " ونعمة فوق نعمة " . لأن الناموس أعطى بموسى ، أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا" . وأظن أن ما يريــد الإنجيلى أن يعلنه هو أن المعمدان شهد وإعترف بأن الإبن الوحيد أعظم منه " الذى يــأتى بعدى ، مفضل عنى ، لأنه كان قبلى " . وحتى لا يفترض أحد أن الإبن الوحيــد فــاق يوحنا المعمدان وباقى القديسين الذين عاينوا ظهوره فى الجسد دون أن يفوق القديســين الآخرين فى العهد القديم ، قدم موسى النبى ، وقال أنه يفوق موسى أيضاً ، الذى فاق كل

الانبياء فى القداسة ، والذى شهد عنه واضع الناموس أى الله وقال أنه عرفه قبل الكل .
وما دام يوحنا يجئ بعد المسيح ثم لا يقاس حسب شهادة يوحنا نفسه ، **كذلك رئيس الأنبياء موسى يقل عن الرب فى المجد وعلى كل من يري أن يتعلم أن يدرس النعمة الإنجيلية التى وهبت لنا بواسطة المخلص ويقارنها بنعمة الناموس التى أعطيت بواسطة موسى ، فسوف يرى أن الإبن أسمى بكثير ، لأنه هو واضع الناموس الأعظم الذى يهب الخيرات أفضل من الناموس الموسوى .**

وماهو الفرق بين الناموس والنعمة التى صارت بواسطة المخلص ؟

لقد أدان الناموس الخليقة " لأنه بالناموس أغلق الله على الكل تحت الخطية " (غلا ٣ : ٢٢)، وأظهر أننا تحت العقاب ، أما المخلص فقد أعطى الحرية للإنسان " لأنه لم يأت ليدين العالم بل ليخلص العالم " . ومع أن الناموس أعطى نعمة معرفة الله للإنسان وجذبه من عبادة الأصنام التى اضلت الإنسان ، وبالإضافة إلى ذلك أشار الى الشر وعلم الخير ، كمعلم نافع ، أما النعمة والحق فبالإبن الوحيد ، الذى لم يقدم لنا الخيرات فى رموز ، ولا أعطى الصلاح فى ظلال ، بل بوصايا بجيدة ونقية ، يقودنا بيده ، لكى ننال معرفة كاملة بالإيمان .

كان الناموس يعطى " روح العبودية للخوف " ، أما المسيح فقد أعطى " روح التبنى " للحرية (رو ٨ : ١٥) . كان الناموس يختن اللحم وهو لاشئ ، لأن ختان اللحم ليس شيئا كما يقول بولس (١كو ٧ : ١٩) أما ربنا يسوع المسيح فهو مانح " ختان القلب بالروح " (رو ٢ : ٢٩) . الناموس يغسل الذى تدنس بالمياه ، أما المخلص فهو يعمد بالروح القدس ونار (مت ٣ : ١١) الناموس يأتى بمسكن كرمز للأشياء الحقيقية ، أما المخلص فينقلنا الى السماء نفسها ويقدمنا إلى السكن الحقيقى الذى نصبه الرب لا إنسان " (عب ٩ : ٢٤ — ٢٨) . وقال بولس المبارك عن الناموس ونعمة المخلص ما يلى : إذا كانت خدمة الدينونة بجداً ، فبالأولى كثيرا تزيد خدمة البر فى المجد (٢ كو ٣ : ٩) .إن وصايا موسى فى خدمة الدينونة ، اما النعمة بالمخلص فهو يدعوها " خدمة البر " التى فاقت فى بجد . وهكذا لخص بولس ، اللابس الروح ، طبيعة الفرق الدقيق بين الناموس والنعمة ، لأن الناموس الذى يدين أعطى بموسى ، أما النعمة التى تبرر فقد صارت بواسطة الإبن الوحيد . فكيف لا يكون المسيح فائق المجد ، ربما لا يمكن مقارنتة ؟ أليست الأشياء الأفضل قد صارت لنا به ؟ (المرجع السابق ص ١٣٨ — ١٤١).

سابعاً : سر الافخارستيا[1]

أولا : التعليم الافخارستى يتأسس على التعليم الخريستولوجى

يبنى القديس كيرلس تعليمه عن الافخارستيا على اساس التعليم الخريستولوجى . ويرى أن فصل اللاهوت عن الناسوت يهدم سر الافخارستيا ، وفى ذلك يقول :

إذا لم يكن الجسد قد اتحد بالكلمة بشكل لا يدركه العقل ويعلو على قواعد النمنطق ، فكيف يمكن أن نعتقد بأن هذا الجسد هو الجسد المحيي . لقد قال الرب " أنا هو خبز الحياة النازل من السماء والواهب الحياة للعالم .. كل من يأكل هذا الخبز يحيا الى الأبد .. والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله عن حياة العالم " (يو ٦ : ٣٥ ، ٤٨ ، ٥١) . أما اذا كان هذا الجسد هو جسد إبن آخر غير الابن الوحيد ، فكيف يمكن لجسد اخر غير جسد الكلمة الإبن الوحيد ، أن يهب الحياة للعالم ، ما لم يكن هو جسد الحياة أى الكلمة الذى من الله الاب ، والذى قال عنه القديس يوحنا " إن إبن الله جاء وأعطانا حياه ابدية . هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية (١يو ٥ : ٢٠). ولم يكن مستطاعاً أن يصبح الجسد واهباً للحياة لأنه بالطبيعة خاضع لضرورة الفساد ، إلا إذا صار هو الجسد الخاص للكلمة الذى يحيى كل شئ ، لأنه فى هذه الحالة وحدها يمنح الجسد ما فيه من حياة ويصبح فعلاً واهب الحياة . ولا عجب فى ذلك لأنه إذا إتحدت النار بالمعدن ، جعلته ساخناً ، مع أن المعدن بطبيعته بارد ، لكن النار تجعل قوتها فى المعدن وتهبه الحرارة اللازمة . فكيف لا يجعل الله الكلمة الذى هو الحياة وواهب الحياة ، قوته وقدرته فى جسده ، طالما أنه أتحد به بدون اختلاط ولا تغيير وجعله جسده الخاص بسر معروف له هو وحده " (المسيح واحد ص ١٠٤ – ١٠٦) .

وهكذا يبدو لنا أن القديس كيرلس يعزو دور الجسد الإحيائى وبالتالى دور الافخارستيا الإحيائى إلى قوة الكلمة وقدرته ، أو كما رأينا فى العبارة السابقة " الله الكلمة الذى هو الحياة جعل قوته وقدرته فى جسده " فإذا كان القديس كيرلس ، من ناحية الخريستولوجيا ، يهمه أن يوضح أن الكلمة جعل قوته وقدرته فى جسده الخاص به ، فهو ينقل فكرة هذا إلى الافخارستيا المحيية . يقول القديس كيرلس :

---

[1] ـ انظر كتابنا : الأفخارستيا عند القديس كيرلس الأسكندرية – مركز دراسات الآباء ١٩٩٤ .

" ولكن من الضرورى أن نضيف هذا أيضاً . وإذ نكرز بموت إبن الله الوحيد حسب الجسد ، أى موت يسوع المسيح ، ونعترف بقيامته من الأموات وصعوده الى السموات ، فاننا نقدم الذبيحة غير الدموية فى الكنائس ، وهكذا نتقبل البركات السرية ونتقدس ، ونصير مشتركين فى الجسد المقدس والدم الكريم للمسيح مخلصنا جميعاً . ونحن نفعل هذا لا كأناس يتناولون جسداً عادياً ،حاشا ، ولا بالحقيقة جسد رجل متقدس ومتصل بالكلمة حسب إتحاد الكرامة ، ولا كواحد حصل على حلول إلهى ، بل باعتباره الجسد الخاص بالكلمه نفسه المعطى الحياة حقاً وبسبب أنه صار واحداً مع جسده الخاص ، أعلن أن جسده معطى الحياة ، لأنه وحق إن كان يقول لنا " الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد إبن الإنسان وتشربوا دمه " فلا نستخلص من هذا أن جسده هو جسد واحد من الناس مثلنا ، لأنه كيف يكون جسد إنسان ما محيياً بحسب طبيعتة الخاصة " . (رسائل القديس كيرلس إلى نسطور ، ص٢٨ ، ٢٩.

ولذلك ينكر القديس كيرلس على نسطور قوله إن الجسد المقدم فى الأسرار هو جسد إنسان، وانكر عليه إعتقاده بأن الآلام هى آلام انسان ، والقيامة هى قيامة انسان ، والجسد الموضوع فى الأسرار هو جسد انسان (رسائل القديس كيرلس — الجزء الثانى ص ٥٦.

وفى رده على هذا التفكير الخاطئ يقول : كيف يعطى جسده الحياة لنا ، ما لم يكن جسد ذاك الذى هو الحياة (المسيح واحد ص ٢٧) .

ثانياً : ماهى الافخارستيا

الإفخارستيا هى جسد ذاك الذى هو حى بالطبيعة

فى الإفخارستيا نجد ملء قوة الكلمة ، وهى القوة التى تهب الحياة لكل المخلوقات ، وبها يحفظ وجودها وكيانها .

يقول القديس كيرلس :

لأنه كان لازماً ، بل ولازماً جداً لنا ، أن نتعلم أن الجسد المقدس الذى جعله جسده الخاص ، كان مزوداً بفاعلية قوة الكلمة بأن زرع فيه قوة إلهية ، لذلك فلندعه يمسك بنا ، أو بالحرى لنمسك نحن به بواسطة الإفخارستيا السرية ، لكى يحررنا من أمراض النفس ومن هجمات الشياطين وعنفهم (تفسير إنجيل لوقا — الجزء الأول — ص ١٠٨) .

فالقديس كيرلس يوحد هنا بين جسد المسيح فى الإفخارستيا وبين جسد الكلمة المتجسد. وعلى ذلك فنحن باشتراكنا فى الإفخارستيا لا نشترك فى مجرد إنسان ، كما أن جسد

الكلمة المتجسد لم يكن مجرد جسد إنسان . وفى سر الافخارستيا نحصل على القوة والفاعلية التى هى لجسد المسيح الخاص ، يقول القديس كيرلس :

" وقد وضع يديه أيضا على كل واحد من المرضى فشفاهم من أمراضهم ، موضحا بذلك أن جسد بشريتنا المقدس الذى جعله جسداً له وملأه بالقوة الإلهية ، كان يملك الحضور الفعال لقدرة الكلمة قاصداً بذلك أنه رغم أن كلمة الله الوحيد قد صار مثلنا ، إلا أنه بالرغم من ذلك لا يزال إلهاً ، ويستطيع بسهولة بواسطة جسده الخاص أن يتمم كل شئ ، لأنه استخدم هذا الجسد كأداة لعمل المعجزات . ولا يوجد أى سبب للتعجب من هذا ، بل على العكس ، فيمكنكم ان تلاحظوا أن النار عندما توضع فى إناء نحاس ، فإنها تنقل إلى الإناء قوة إنتاج تأثيرات الحرارة . هكذا أيضا فإن كلمة الله الكلى القدرة ، إذ قد وحَّد الهيكل الحى العاقل الماخوذ من العذراء القديسة مع نفسه اتحاداً حقيقياً ، فإنه ملأه بالقوة التى تظهر قدرته الإلهية بصورة فعالة ، لذلك فلكى يخجل اليهود فهو يقول : " إن كنت لست أعمل أعمال ابى فلا تؤمنوا بى ، ولكن إن كنت أعمل فإن لم تؤمنوا بى فآمنوا بالأعمال " (يو ١٠ : ٣٨). وبشهادة الحق نفسه هذه ، يمكننا ان نرى أن الإبن الوحيد لم يعط مجده " لإنسان " منفصل عنه وغيره هو نفسه ، ويعتبر مولود المرأة ، بل بالحرى إذ هو الإبن الوحيد مع الجسد المقدس المتحد به فإنه قد صنع المعجزات وهو يعبد أيضاً من خليقة الله . لقد دخل الرب إلى بيت بطرس وهناك كانت إمرأة ممددة على فراش مرهقة من حمى شديدة ، وبدلاً من أن يقول كإله " أتركى المرض وقومى " فإنه سلك طريقا اخر لكى يبين أن جسدة يملك قوة الشفاء لكونه جسد الله " لمس يدها ، ولذلك تركتها الحمى " (لو ٨ :١٥) (تفسير إنجيل لوقا – الجزء الاول – ص ١٠٧ -١٠٨).

ولذلك يؤكد القديس كيرلس ، ان قبولنا للمسيح لا يكون فقط قبول القلب والعقل ، بل قبول فى سر الافخارستيا . يقول القديس كيرلس :

لذلك هيا بنا نحن ايضاً لنقبل يسوع ، لأنه حينما يدخل الينا ونقبله فى عقلنا وقلبنا ، فإنه عندئذ يطفئ حمى اللذات غير اللائقة ، ويقيمنا ويجعلنا اقوياء حتى فى الامور الروحية ، وبذلك نخدمه بأن نعمل الأمور التى ترضيه .

ويمضى القديس كيرلس ويقول :

ولكن أرجوا أن تلاحظوا ما أعظم فاعلية لمس جسده المقدس ، فإنها تطرد الأمراض من كل نوع وتطرد جمعاً من الشياطين وتطرح قوة ابليس عنا وتشفى جمعا كبيراً من الناس فى لحظة من الزمان . ورغم أنه يستطيع أن يعمل المعجزات بكلمة وبمجرد ميل إرادته ، إلا

أنه لكى يعلمنا شيئا نافعاً لنا فهو يضع يديه على المرضى أيضا ، لأنه كان لازما ولازما جداً لنا ان نتعلم أن الجسد المقدس الذى جعله جسده الخاص ، كان مزودا بفاعلية قوة الكلمة بأن زرع فيه قوة الحية (المرجع السابق ص ١٠٨) .

إن هذا الجسد الملئ بقوة الكلمة وقدرتة المحيية هو — حسب القديس كيرلس — ما يدعوه المسيح " بالروح " فى (يو ٦ : ٣٦) ، حيث يقول الروح هو الذى يحيى ، أما الجسد فلا يفيد شيئاً " فحسب تفسير القديس كيرلس ، إن جسد المسيح الخاص الممتلئ بقوة الروح المحيية ، هو مايدعوه يوحنا هنا بالروح . القديس كيرلس يرى أن التعارض بين الروح والجسد فى (يو ٦ : ٣٦) ، يعادل التعارض بين مجرد الجسد (أى جسد الإنسان الأرضى) وبين جسد المسيح المتحد بالكلمة . وهذا التفسير الذى يقول به القديس كيرلس هو السائد فى الفكر الآبائى والذى تأخذ به كنيستنا . فعندما نقرأ يوحنا ٦ نلاحظ أن التلاميذ أصابتهم الدهشة .

لقد قال لهم السيد المسيح ان من يأكل جسده ويشرب دمه له حياة ابدية ، أى جعل جسده ودمه يعطيان الحياة الابدية ، بينما إنه من المعروف لديهم أن روح الله هو الذى يهب الحياة الابدية . فعاد السيد المسيح وأكد لهم أن جسده أيضاً يعطى الحياة الابدية ، لأنه ليس كأى جسد عادى ، إنما هو جسد متحد بالقوة الإلهية والذى فيه حل كل ملء اللاهوت جسدياً .[1]

ثالثاً:مسميات سر الأفخارستيا :

بالنسبة للقديس كيرلس — المسيح هو واهب الحياة ليس فى معناها الطبيعى بل أيضاً فى معناها الروحى الفائق للطبيعة ، أى الحياة الابدية ، فهو يؤكد فى تفسيرة للإنجيل حسب القديس يوحنا أن هذه الحياة فوق الطبيعة ، نحصل عليها من خلال سرى المعمودية والافخارستيا ، وفى ضوء هذا يطلق القديس كيرلس على سر الإفخارستيا بعض التسميات المبنية على مفهوم الحياة .

ومن هذة التسميات :

"جسد محى" (Sarx Zwophoros)

" جسد الحياة " (H Sarx Tys Zwys)

" الأولوجيا المحيية " (Eulogia Zwopoios) وكلمة " أولوجيا " هنا يمكن أن تترجم " شكر " أو بركة " أو " الشكر المحى " أو " البركة المحيية " .

١ـ انظر فى هذه الدراسة : Ezra Gebremedhin : Life-Giving Blessing. An Inquiry Into The Eucharistic Doctrine of Cyril . Alexandria (1977)

http://coptic-treasures.com

" الذبيحة المحيية " (Thesia Zwopoios)

" ناقلة وحاملة للعطية الالهية المحيية " (Zwopoios doro Phoria)

" البذرة المحيية ") (.

رابعاً : تحول الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه :

فى عبارات واضحة يتحدث القديس كيرلس عن تحول الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه فهو يقول :

عندما نضع القرابين أمام الله نصلى بإلحاح لكى تتحول لنا الى " بركة روحية " حتى إذا تناولنا منها نتغذى فى أجسادنا وأرواحنا " ثم يقول: الكائن يشير إلى القرابين قائلاً : هذا هو جسدى .. هذا هو دمى ، لكى لا تظن أن ما يظهر أمامك هو مجرد رمز ، لكى تعرف جيداً انه بفعل قدرة الله الضابط الكل الفائق كل وصف ، قد تحولت القرابين بالحقيقة إلى جسد المسيح ودمه (اللاهوت المسيحى والانسان المعاصر - الجزء الثالث - للاب (حاليا المطران) سليم بسترس - منشورات المكتبة البوليسية - لبنان - ١٩٨٨ ص ١٧٨ ، ١٧٩)

وفى رأى القديس كيرلس ان نسطور نزع عن الافخارستيا قوة " وهب الحياة " وحولها إلى أكل لحوم البشر ، إذ فى فروضه ، إنه مجرد جسد إنسان موضوع على المذبح ، وأن الجسد الذى يأكله المؤمنون ليس بالحق محيياً باللوغوس (القمص تادرس يعقوب : الكنيسة القبطية الأرثوذكسية كنيسة علم ولاهوت - كنيسة مارجرجس بإسبورتنج - ١٩٨٦ ص ١٤٤).

خامساً : الإفخارستيا هى شركة في حياة السيد المسيح :

الإشتراك فى سر الافخارستيا هو الاشتراك فى حياة المسيح .

الافخارستيا تعمل فينا كما تعمل الخميرة فى العجين ، وتأثيرها فينا ليس فقط تأثيراً روحياً بل وأيضاً تأثير جسدى . إن تذوق الإفخارستيا ه و تلامس مع المسيح الحى كما حدث لمس أو تماس بيد المسيح عندما شفى حماة سمعان أو عندما أقام ابنه يايرس أو إبن أرملة نايين .

من خلال الإفخارستيا يصير المؤمن متحداً مع المسيح (Susswmoi) (jo 11 pg. 72,560)

فى سر الافخارستيا يصبح المؤمنون شركاء الطبيعة الالهية (pg. 74,34 CD)

إن المؤمنين يمتزجون (Sunanakirnasthai)بالمسيح على مستوى يناسب الإنسان

(Mt .26,27
نيا يختلط المؤمن (anamignumenos) بالمسيح مـــن
جسدة . (jo.pg.73,584,bc)
أو يغرس (Emphuteuein) حياته الخاصة فى المؤمن الذ
(jo
فى المـــؤمن جـــسدياً بالـــشركة (Koinwnia) فى
(jo1
Katoikein) فى المـــؤمن كحيـــاة ومعطـــى الحيـــاة

شركة المقدسة للمسيح ، يصير المؤمنون شركاء (nwnia
اة وإلى عدم الفساد (jo .3,PG.73,521C)
ن أن نزرع ونغرس فى حياة الإله التأنس .
س كيرلس عن إتحاد يتحقق بين المؤمنين بعضهم وبعض
الواحد ، فهو يكتب :
لال سر الأفخارستيا- لهؤلاء الذين يؤمنون به .انه يجعل
لبعض ، بالجسد الواحد أى جسده الخاص (B 560 ,
حدوا معاً من خلال شركتهم معا فى الإفخارستيا ، يصف
يحدون فى جسد واحد (Susswmoi)، ويسمى الق
طبيعى 11PG.74k560 BD) Enwsis Phusike
بوحدة مع المسيح ومع بعضهم البعض .
أن القديس كيرلس يستعمل نفس اللغة التى يستعملها
والناسوت فى طبيعة المسيح الواحدة ، إلا أن القديس
ن الوحدة بين اللاهوت والناسوت فى المسيح ، وبين
لمسيح فى سر الإفخارستيا ، ويسمية : الإتحاد النسبي
السيد المسيح ، هو أصل الإتحاد ، ليس فقط بين الله و
م وبعض . إن كون المسيح له نفس الجوهر مع الآب ،
الإنسان ، وكون المسيح قد إتخذ طبيعتنا البشرية وإتحد

ين الله والإنسان ، وكون المسيح قد إتخذ طبيعتنا البشرية وإتحا
تحاد بين الإنسان والإنسان .

كيرلس :

ماً واحد فى الآب والابن والروح القدس ، وأيضاً فى الـــشركـ
(jo.11,PG.74 , 564d)

الفساد – أهم هبات الإفخارستيا :

، من جسد المسيح ودمة الأقدسين يتم قهر القوى العدائية الو
الفساد الذى يحل بالإنسان . ان الإفخارستيا تهب الخلود وتحـ
وتحصنه ضد الفساد وتهبه الحياة الأبدية . إن الإنسان المائت
الذى هو حى بالطبيعة ، إذا كان يرغب فى أن يستعيد الخلود
(lu 22 : 19 PG.72k9. إن أكثر الخواص الــتى تعكـــس
د القديس كيرلس – هى خاصية الخلود(PG74,276D-A)
ن أدى الى فقدان الإنسان لروح الله . وتبعاً لذلك فقدانه للخـ
هب الإنتصار على الموت للإنسان بواسطة سر الإفخارستيا ،
رتدى الجسد عدم الفساد(PG. 72,297D)
يح المقدس يحفظ (Sunechein) الأجساد التى إمتزجت (إتـ
فخارستيا ويقيها من الفساد (PG73,520D) .
ت فى الإنسان يستبدل بحلـــول الحيـــاة والخلـــود . إن المـــ
Anamo) ويطرد الموت الذى حل فى جسد الإنسان ، وهو
خلود (Sperma Athansias) وهذه تبطل الفساد الكائن
تطرد (Ex Elaunein) الموت وتنقذ من (Existanai) الفـــ
ها تهزم (Nikaw) الفساد بصورة مطلقـــة (G 74 ,344 B
(PG74) الموت الذى اصاب أعضاء الإنسان (869 Cd) .

كتـاب : القديس كيرلس الاسكندرى
ـــف : الدكتور موريس تاوضروس
ثانية
لايداع : ٣٧٩١ / ٢٠٠٢
I.S.B.N. - 977 - 55 - 321
م الغلاف : عماد جورج ت : ٥٧٢٠٤٧٥ / ٠١٠
ة : دار الناسخ للطباعة

ن دكتور موريس تاوضروس ت : ٦٣٤٨٠٠٥
مكتبة المحبة : ٢٤ ش شبرا ـــ مصر
دار أنـــطون : ١١ ش ليبون ـــ شبرا

السعر ٥